(٤٧) من تراث الكوثري

إقامة البرهان
على نزول عيسى في آخر الزمان

تأليف
خادم الحديث النبوي الشريف
العلامة أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي
من كبار علماء الأزهر الشريف

قدم له
فضيلة الأستاذ الكبير
محمد زاهد الكوثري

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٥١٢٠٨٤٧

من تراث الكوثري
٤٧

إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان

تأليف
خادم الحديث النبوي الشريف
العلامة أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي
من كبار علماء الأزهر الشريف



قدم له
فضيلة الأستاذ الكبير
محمد زاهد الكوثري

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الإدريسي ، أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني إقامة البرهان علي نزول عيسي في آخر الزمان / تأليف أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي ، قدم له محمد زاهد الكوثرى . ــ ط 01 ــ . القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، 2006
132ص ؛ 24 سم . (من تراث الكوثرى ؛ 47)
تدمك 3 - 126 - 315 - 977
1- الحديث
أ - الكوثرى ، محمد زاهد (مقدمه) 230
ب- العنوان

رقم الإيداع : 13700 / 2006

إهداء الكتاب

إليك سيد المرسلين . وخاتم النبيين. وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، أهدى كتابى هذا - الذى دافعت به عن سنتك ونفيت عنها - بقدر استطاعتى - تحريف الغالين. وانتحال المبطلين. وتأويل الجاهلين. لا أبتغى بذلك إلا أن تكون شفيعًا لى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولن يضيق رسول الله جاهك بى

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

خادم حديثك

عبد الله بن محمد بن الصديق

الغمارى



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ محمد زاهد الكوثري

كان بينى وبين الاستاذ الكوثري صلة وثيقة، رغم سعى بعض الحاقدين لإفسادها، وكان يقدرنى كثيرا ، حتى إنى لما استجزته قبيل وفاته بسنة استجازنى ، وكان يسألنى عن الأحاديث التى يسأله عنها بعض الناس، واستمرت صلتنا كما هى إلى وفاته، رحمه الله وأثابه رضاه .

المؤلف

فضيلة الأستاذ العلامة المحدث الناقد السيد عبد الله الصديق الغماري - حفظه الله - له براعة فياضة تفيض تحقيقًا كلما جد الجد، ووجب الرد ، فتوقف المتهجمين على معتقد الجماعة عند حدهم، ولم تزل مواقف فضيلته ضد المشبهة، ونفاة التوسل، والمغالين فى استنكار المحاريب ماثلة أمامنا، تشهد له بنبل الرأى ودقة النظر ، وغزارة العلم ، والبراعة فى الرواية والدراية، فيتوالى شكر أهل العلم والدين من أعماق القلوب على إجادته البالغة فى الرد عليهم ، وقد أعد الله سبحانه له مثوبة عظيمة بقدر ما له من الإخلاص فى العمل ، والنجاح فى الجهاد ، والإجادة فى الدفاع عن حوزة الدين. وها هو ذا قد وقف بالأمس الدابر وقفة الأسد فى الرد على مشايع للرشيد القلونى[1] - الجارى وراء الدكتور صدقى المعروف - فى إنكار نزول

(١) هو الشيخ رشيد رضا صاحب المنار .



عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فقضى عليه بمقالاته الممتعة المنشورة حديثا فى مجلة الإسلام الغراء فندعو الله سبحانه أنْ يرعاه ويكافئه على ذلك مكافأة المحسنين ويكثر من أمثاله فى حراسة الدين، والدفاع عن معتقد المسلمين . ومما يؤسف له أن يوجد بين صفوف حراس الدين ، من تتغلب عليه شهوة الظهور بالتجرؤ على العقيدة المتوارثة جريًا وراء الاستبعاد العقلى المجرد فيما لا يحيله العقل، مع توارد الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السنة والجماعة على تحتم الأخذ بها ولا يكون ذلك إلا تزندقًا مكشوفًا فى سبيل التجدد ، وفى مثله يقول الشاعر العربى.

تزندق معلنًا ليقول قوم … من الأدباء زنديق ظريف
فقد بقى التزندق فيه وصما … وما قيل الظريف ولا الخفيف

وليس شيء أثقل من ذلك على نفوس الأباة الكرام ، ومحاولة المرء لوزن قدرة الله جل جلاله بمعياره الخاسر العيار، وعقله القاصر عن إكتناه جزء من الكون ، فضلا عن اكتناه صفة من صفات مكون الأكوان ، تدل على أنه مصاب فى عقله قبل أن يصاب فى دينه، والركض وراء ذلك الاستبعاد المجرد يدل على فقد الإيمان بالغيب ، والاقتصار على المحسوس شأن البهيم، فنعوذ بالله من الخذلان . وفى مسألة رفع عيسى عليه السلام حيًا ونزوله فى آخر الزمان تضافر الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة، فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ بمعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى لأن عود ضمير (قبل موته) إلى عيسى هو مقتضى الرواية حيث صح ذلك عن أبى هريرة - رضى الله عنه - واستفاض عن ابن عباس رضى الله عنهما بدون

أن يصح ما يناهض ذلك عن أحد من الصحابة، ولأن عود ذلك الضمير إلى عيسى هو مقتضى الدراية أيضًا حيث يلزم من عوده إلى غير عيسى - وهو أحد من أهل الكتاب - أن يؤمن كل كتابى من اليهود وغيرهم قبل موته بعيسى ، فإما أن لا يعتد بذلك الإيمان، فينافيه إقسام الله سبحانه عليه ، وإما أن يعتد به فلا يكون يهود ولا نصارى ، بل يكون الجميع ملة واحدة ، مع أن الإجماع على عدم رد اليهود والنصارى إلى غير أهل دينهم فى المواريث وسائر الحقوق يدل على تمايز الملتين ، وعلى أن اليهود يهود والنصارى نصارى، ما لم نعلم اهتداء أحد منهم إلى الإسلام فنحكم فيه أنه مسلم. فلو كان يهودى يؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام ما صح رد ورثته إلى اليهود ، وقال الزهرى: «مضت السنة على أن يرد أهل الكتاب فى حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم إلا أن يأتوا راغبين فى حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله» وحيث استحال عود ذلك الضمير إلى غير عيسى للسبب المشروح، تعين عوده إلى عيسى من جهة الدراية أيضًا، وهكذا تطابقت الرواية والدراية على أن موت عيسى عليه السلام يكون بعد نزوله فى آخر الزمان، وإذ ذاك يكون الجميع أمة واحدة بإيمانهم كلهم بما يدعو إليه عيسى إذ ذاك وهو دين الإسلام. ثم الضمير فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ يتعين إرجاعه إلى عيسى عليه السلام أيضًا ، لأنه هو المذكور في سياق الآية ولا ذكر للقرآن فى السياق حتى يستساغ إرجاعه إليه دراية. وأما من جهة الرواية فلم يصح عن أحد من الصحابة خلاف ما استفاض عن ابن عباس من إرجاع الضمير إلى عيسى عليه السلام، فتطابقت هنا أيضًا الدراية والرواية على أن عيسى سبب علم للساعة، حيث يعلم بنزوله قيام الساعة كما تواترت السنة وتطابق

محمد زاهد الكوثري

الاجماع على ذلك، وأما ما وقع فى تفسير سورة المائدة - فى غير مظنته - من صحيح البخارى من قوله : «قال ابن عباس : متوفيك مميتك» فخلو عن السند فلا يصلح للاحتجاج به وكم له من هذا القبيل فى كتاب التفسير مما لا يحتج به عند أهل الصنعة. وهذه الرواية واردة بطريق عبد الله بن صالح عن معاوية الحضرمى عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، عن ابن جرير وغيره. فعلى بن أبى طلحة لم يدرك ابن عباس اتفاقًا، ففى الرواية انقطاع ثم ابن أبى طلحة والحضرمى وعبد الله كاتب الليث مختلف فيهم، وليسوا من شرط البخارى فأنى تصح رواية هذا شأنها ؟ حتى يتصور أن تناهض ما صح واستفاض عن أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما، على أن حملها على التقديم والتأخير - مثل واسجدى واركعى - كما فعل الفراء وغيره يجعلها متفقة مع الرواية الصحيحة هـ.

وليس ما فى العتبية من عزو موته - وهو ابن ثلاث وثلاثين - إلى مالك رضى الله عنه بصالح أن يكون عذرًا لمن شذ وقال بموته حيث لا مستند له من الكتاب والسنة والاجماع ، إزاء تلك الجبال الشواهق من الحجج على أن العتبية المعروفة بالمستخرجة اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة ، والمسائل الشاذة ، وأن جامعها كان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال أدخلوها فى المستخرجة . بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذبًا ومسائل لا أصول لها ، فالاغترار بها اغترار فى غير محله ، إلا أن حب الشذوذ مرض فى بعض النفوس. وبعد هذا الاستطراد نعود فنقول :

إن فضيلة الأستاذ الغمارى وفَى بوعده وأتم تأليف كتابه البديع المسمى «إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان» وأحسن كل الاحسان ، فى

إقامة الحجج من الكتاب والسنة والإجماع على المسألة ، وقد سرد فيه من طرق حديث النزول ما يشهد له بالتوسع البالغ فى الحديث ويسجل له كل فخر على ناصية الدهر ، فأبان بذلك قوة تواتر هذا الحديث عند كل منصف غير متعسف، فيكون كتابه الخالد هذا حارسًا لقلوب الأجيال المقبلة، من أن يتسرب إليها شكوك المشككين من القاديانيين وأذيال القاديانيين، حيث لم يدع ناحية من نواحى هذا الموضوع بدون أن يقتلها بحثًا ، فيقتنع المطالع المتبصر بمجرد مطالعته بتواتر خبر نزوله عليه السلام فى آخر الزمان ، وهذا قاض على الشق الأول من زعم المردود عليه بأن «نزول عيسى عليه السلام إنما ورد بطريق الآحاد وخبر الآحاد لا يفيد عقيدة» وأما الشق الثانى فلا يمشى إلا على النقل الشاذ من الأشعرى المردود عند المحققين ، لأن العقد الجازم هو المعتمد شرعا وهذا قد يحصل بخبر الآحاد، وبالتقليد كما يحصل بالبراهين المفيدة للعلم وفى قصر الاعتداد فى العقد الجازم على إيمان أهل البرهان إكفار لدهماء الأمة، وهذا يكون مجازفة شنيعة ، بل إفادة خبر الآحاد العلم رأى كثير من علماء هذه الأمة ، ولا سيما عند احتفافه بالقرائن ، وخاصة فيما أخرجه الشيخان من غير منازع أو اتفقت الأمة على الأخذ به ، بل لا يرد خبر الآحاد عند أهل العلم إلا عند مخالفته لكتاب الله أو سنة رسوله المتواترة أو المشهورة أو عند ما عده العقل محالا فيما لا يحتمل التأويل لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول لا بما تحيله كما فى «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادى وغيره. وصفوة القول أن المؤلف أجاد كل الإجادة فى تأليفه هذا ، فندعو الله سبحانه أن يكافئه على هذه الإجادة ، وأن يوفقه لتأليف كثير من أمثال فى خير وعافية، وأن ينفع به المسلمين .

محمد زاهد الكوثرى

سيد محمد طيب العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

اللهم لك الحمد كله. ولك الملك كله. وبيدك الخير كله. وإليك يرجع الأمر كله . علانيته وسره. لك الحمد إنك على كل شىء قدير. اللهم صلى وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد المبشر النذير. والسراج المنير. الذى ختمت به الأنبياء. وفضلته على جميع الرسل والأصفياء. جعلته نبيًا وآدم بين الروح والجسد. وحكمت لشريعته بالبقاء إلى آخر الأبد. خلقته نورًا قبل خلق الأشياء، ثم بعثته مشعًا بعد أن عمت هذا العالم ظلمات الشرك والجهل والجور والشقاء. فعم الأرض نوره وعلمه. ووسع الناس عدله وحلمه. فهو الفاتح الخاتم. ورسول الله إلى جميع العوالم. لا نبى بعد نبوته. ولا شرع غير شرعته وملته. فأبلغه اللهم منا أفضل الصلوات. وأزكى التسليمات، وأجزه عنا بأجزل الخيرات. وأجل المكرمات. وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين. وصحابته الأكرمين وعمن تبع طريقهم بإحسان من غير تحريف ولا تبديل إلى يوم الدين. ووفقنا اللهم فيما انتدبنا له من الدفاع عن سنته. وأدم هدايتنا بدوام اتباع هديه وطريقته. حتى نحشر يوم العرض فى زمرته. ونكون من أسعد من يسعد بشفاعته. بفضلك وكرمك يا ذا الفضل العظيم . ويا صاحب الكرم الواسع العميم .

أما بعد: فقد ظهر فى هذه الأزمان المتأخرة، طائفة كافرة خاسرة. تدعى الإسلام وهو منها براء. وتنشر بلسانه - فى زعمها - آراء. كلها ضلال وإفك وافتراء. تزعم فى شأن زعيمها غلام أحمد القاديانى أنه نبى ظلى يوحى إليه. ومعنى الظلية فى كلامهم أنه لم يأت بشرع جديد. وإنما بعث ليصلح ما أفسدته يد الحدثان فى شريعتنا الحنيفية السمحة، ويشبهون حالة نبوته وإصلاحه بحال عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث بعث تابعًا للشريعة الموسوية ومصلحًا لما حرف من أحكامها وتعاليمها. وتالله إن زعمهم ذاك لباطل. وإن تشبيههم هذا لخال عن الجامع، وعن حلية الحق والتحقيق عاطل. ذلك أن عيسى بن مريم عليهما السلام رسول كريم. بعثه الله فى وقت لم تنقطع فيه النبوة والرسالة. لاحتياج الناس إذ ذاك إلى من يزيل ما ران على قلوبهم وعقولهم من الجهالة والضلالة. مع ما ثبت من تحريف اليهود للتوارة وتبديلهم للأحكام التى أنزلها الله كما شهد به القرآن. وأثبته التاريخ الصحيح. واعترف به علماء اليهود أنفسهم باللفظ الصريح. فلما بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بدينه الذى أكمله وارتضاه، حيث قال جل علاه: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾، وقال عز ذكره ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ ولم يقبل دينًا غيره حيث قال تبارك وتعالى ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. وتولى حفظه بذاته حيث قال عز وجل ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. لم يبق للناس - بعد هذا - حاجة إلى نبى أو رسول. لحصول كمال الكفاية. فى تمام الرشد والهداية. بنبيهم الأكرم. ورسولهم الأعظم، إذ خلف فيهم الكتاب والسنة، فيهما بيان كل شىء

مما يحتاج إليه العباد فى دينهم ودنياهم. فى معاشهم ومعادهم. وتركهم على المحجة البيضاء الواضحة المعالم والمسالك. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فلهذا ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يكن بعده نبى كما قال الله تعالى ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ . وفي الصحيح عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء**» وفى الصحيح أيضًا عن سعد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى». وفى رواية فى الصحيح أيضًا : «**أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى**» والحديث متواتر ، له أكثر من عشرين طريقًا استوعبها الحافظ ابن عساكر فى كتاب خاص، وفى الصحيح أيضًا من حديث ابن أبى أوفى: ولو قضى أن يكون بعد محمد نبى لعاش ابنه ولكن لا نبى بعده وقال ابن حبان فى صحيحه: أخبرنا عمر بن محمد الهمدانى ثنا عبد الملك بن سليمان القرقسانى ثنا عيسى بن يونس ثنا عمران بن سليمان القمى عن الشعبى قال سمعت فاطمة بنت قيس تقول: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «**أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد أنذر أمته وهو كائن فيكم أيتها الأمة إنه لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم ألا إن تميمًا الدارى أخبرنى**» وذكر حديث الجساسة والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدًا، وهى قطعية الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها .

ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المجمع عليها أن من أعتقد أو ادعى وجود نبى ينبأ فى هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم أوشك فى متنبئ ادعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه. فهو كافر مرتد حلال الدم والمال. يستتاب فإن تاب قبل. وإلا قتل.

على هذا اتفق المسلمون قاطبة لا فرق بين عالم وجاهل ولا بين سنى وغيره. قال ابن حزم الحافظ فى كتاب مراتب الإجماع: باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع. اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شىء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شىء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء ... إلى أن قال: وأن دين الإسلام هو الدين الذى لا دين لله فى الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله وأنه لا ينسخه دين بعده أبدًا، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد فى النار أبدًا... وأنه لا نبى مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبدًا واتفقوا أنه مذ مات النبى صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحى وكمل الدين واستقر أ هـ.

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند الكلام على قوله تعالى «وخاتم النبيين» ما نصه: وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال مضل ا هـ.

وقال الألوسى فى تفسيره ما نصه: وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعى خلافه ا هـ.

فعلم مما ذكرناه أن ذلك الغلام القاديانى ليس بنبى كما يزعم هو وطائفته، ولكنه أحد الدجالين الذين أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم

أنهم يدعـون النبـوة ، قـبل الدجـال الأعظم الذى يدعى الألوهيـة، فـفى الصحيح عن جـابر ابن سمرة قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن بين يدى الساعة كـذابين**». وفى الصحـيح أيضًا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**».

وروى ابن حبان فى صحيحه ثنا محمـد بن عبد الله بن الجنيد ثنا قتيبة ابن سعيـد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسـماء الرحبى عن ثوبان قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إن الله زوى لى الأرض فرأيت مـشارقهـا ومغـاربها**»، وذكر الحديث بأطول ممـا فى صحيح مسلم وقال فى آخره: «**وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبى وإنى خاتم النبيين لا نبى بعدى ولن تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله**» .

وروى الطبرانى وغـيره عن نعيم بن مـسعود عن النبـى صلى الله عليه وآله وسلم قال «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبى**» وروى أحمد والطبرانى والضياء وغـيرهم عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فى أمتـى كذابون ودجالـون سبعـة وعشـرون ، منهم أربع نسوة وإنى خاتم النبـيين لا نبى بعدى**»، وعزاه الحافظ الهيـثمى للبزار أيضًا: وقال : رجاله رجال الصحيح ا هـ.

وفى المسند وغـيره عن جـابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسـلم قال: «**بين يدى الساعة كـذابون منهم صاحب اليمامة ومنهـم صاحب صنعاء العنسى ومنهم صاحب حـمير ومنهم الدجـال وهو أغلظهم فتنة**»، قال جابر وبـعضهم

سيد محمد توفيق العلوي

يقول قريبًا من ثلاثين كذابًا . وعزاه الهيثمى للبزار أيضًا، وقال: فى إسناده عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح: قال ، وفى سنده أحمد ابن لهيعة وهو لين ا هـ .

والأحاديث فى هذا كثيرة ، والعدد المذكور فيها للتقريب لا للتحديد وفيها معجزة من معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، حيث وقع الأمر كما أخبر وظهر فى الأمة كذابون متنبئون فيهم نساء كسجاح وغيرها، ومن أحدث هؤلاء المتنبئين عهدًا هذا الغلام القاديانى الذى انبعث فى الهند شيطانًا من شياطين الإنس، فشق عصا المسلمين وفارق جماعتهم وفرق كلمتهم، وبشر بمذهبه فى كثير من البلاد خارج الهند على أنه مذهب إسلامى صحيح. وهو والله مذهب الكفر الصريح. من اعتنقه خسر الدنيا والآخرة وباء بالضلال المبين . وكان يوم القيامة مع الكفرة الفجرة لا فى زمرة المسلمين.

وقد اتبعه ضعفاء العقول. من كل مختلف جهول. لا يفهم ما يقال له ولا يفقه ما يقول. وهذا شأن الباطل لا يروج إلا على الطغاة والجهلةالذين هم كالأنعام. ومع أن الحق واضح أبلج. وطريق الإسلام مستقيم غير ذى عوج. نجد من ينحرف ذات الشمال وذات اليمين، ويترك الهدى والنور لقول كذاب مهين، فنعجب ولكن سرعان ما يذهب عجبنا حين نقرأ قول الله تعالى: **﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** .

فصل

ثم إن هؤلاء القاديانيــة أو الأحمدية كما يتــسمون ينحصــر كلامهم فى عدة دعاوى نلخصها فيما يلى :

أحدها : أن عيسى عــليه السلام مات وانتهى أمره ولا سبــيل إلى رجوعه فى آخر الزمان وأن رفعه الوارد فى القرآن رفع معنوى.

ثانيها : إنكار الدجال والدابة وغيرهما من أشراط الساعة الكبرى التى تواترت بها الأحاديث واتفقت عليها الأمة.

ثالثهــا : ترك الاحتــجاج بالسنة مطلقًا لا فــرق بين متــواترها وآحادها إلا إذا وافقت القرآن بحسب فهمهم .

رابعــها : وهى مــترتبــة على التى قبلهــا أنه ليس فى القــرآن دليل يدل على انقطاع النبوة، وقــوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ معناه الختم والطابع أى أن محمدًا عليه الصلاة والسلام بالنسبة للأنبياء كالختم الذى يختم به على الشهادة مثلا، وليس فى هذا ما يدل على أنه لا نبى بعده!! بل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يدل عندهم على وجــود نبى بعده!! وبناءًا على ذلك تكــون الأحاديث المصرحة بأنه لا نبى بعده مخالفة للقرآن فلا يعمل بها !!

خامسها : أن غلام أحمد نبى يوحى إليه ، وأنه رسول العالم الموعود!!

وقد يتغــالى بعضهم فيحــمل قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ على غلامهم القاديانى.

هذه أصول دعواهم وأهمها وسائر كلامــهم يتفرع منها أو يرجع إليها ،

وهى دعاوى - كما ترى - كلها كفر وضلال ، إذا اعتقد الشخص واحدة منها خرج عن ملة الإسلام ، فكيف إذا اعتقد جميعها ؟ بل كيف إذا كان يدافع عنها ويحاول تثبيتها فى عقول المسلمين بكل حيلة!؟ لا شك أن من فعل ذلك فكفره أشد ، وعذابه أكثر وأقبح ، نسأل الله العفو والعافية.

فصل

ثم إنهم دائبون على نشر دعاواهم المذكورة بمختلف الحيل والأساليب ، فطوراً يتقدمون بها فى صورة سؤال، مكتفين أن يرد فى الجواب كلمة يكون فيها تأييدهم، وحينًا يقدمونها أقوالاً مسلمة لا تحتمل النزاع والجدال، وتارة يغرون على اعتناقها بالنشب والمال، إلى غير هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وهم فى كل ذلك جهلة لا يفهمون العلم، وإن فهموا شيئًا فلا يحسنون الفهم ، ليس لهم قواعد وأصول يرجعون إليها عند البحث والمناظرة، وإن دعاهم مناظرهم إلى كتب الأصول الإسلامية وقواعدها المحكمة هربوا كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، الكلام معهم مضيعة ، وتعب فى غير منفعة ، لأنهم كما قلنا لا يفهمون ، فهم لأجل ذلك لا ينصفون ، وليجرب من شك فى هذا يلق من جهلهم وتعصبهم ما لا يصفه الواصفون.

وكان من أحدث ما فعلوه لترويج أباطيلهم وإعادة ذكرها على الأسماع والأذهان ، بعد إذ نسيت مدة من الزمان، أن تقدم أحدهم بسؤال إلى مشيخة الأزهر جاء فيه: «هل عيسى حى أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة وما حكم المسلم الذى ينكر أنه حى وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟».

هذا ملخص ما جاء فى ذلك السؤال ولم يكن مقدمه مستفيدًا مسترشدًا إذ لو أراد الاستفادة والاسترشاد لوجد فى الكتب التى ألفها علماء الهند فى هذه المواضيع باللغتين العربية والأردية ما يشفى علته ويروى غلته، إذ قد ألف العلامة المحدث الكبير محمد أنور الكشميرى الديوبندى رحمه الله وأثابه رضاه، ثلاث رسائل، الأولى عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام وعمل عليها حاشية سماها تحية الإسلام، الثانية ، التصريح بتواتر نزول المسيح ، الثالثة، اسمها «خاتم النبيين» ، وكلها مطبوعة وللعلامة الكشميرى المذكور منزلة كبيرة فى نفوس المسلمين هناك لم يكتسبها من مركزه الرسمى فحسب بل بما له من علوم ومواهب ، وبما ألفه من الكتب فى الدفاع عن الدين ، والرد على الملحدين .

وقد ألف غيره أيضًا من العلماء، فى هذه الأشياء بحيث لم يتركوا لقائل مقالا، هذا غير ما ألقى من محاضرات ، وما عقد من اجتماعات تشتمل على مناظرات ومجادلات ، مما نشر كله أو جله فى الجرائد والمجلات، إذن فذلك السائل لم يكن بسؤاله مستفيدًا مسترشدًا ولكنه حاول أن ينتزع من هيئة دينية رسمية ما يجعله متكأ له يتوكأ عليه فى دعاواه فأفلحت محاولته، ونجحت حيلته !!

وصدر العدد الثانى والستون بعد الأربعمائة من مجلة الرسالة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦١ الموافق ١١ من مايو عام ١٩٤٢ يحمل فتوى عنوانها «رفع عيسى» ومضمونها أن عيسى عليه السلام مات موتًا حقيقيًا، وأنه لم يرفع بجسمه إلى السماء وأنه لا ينزل فى آخر الزمان وأن الأحاديث الواردة فى ذلك آحاد وأن الآحاد لا يعمل به فى

سيد محمد طيب التلوي

العقائد والمغيبات بالإجماع وأنها مضطربة اضطرابًا لا مجال معه للجمع بينها

وأنها فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وأن درجتهما عند أهل الحديث معروفة - أى أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين - إلى غير هذا مما جاء فى تلك الفتوى التى صادمت الإجماع وخالفت الأحاديث المتواترة ، ونابذت ما تواطأت عليه كتب التفسير والعقائد ودعت إلى إهدار الأحاديث النبوية الصحيحة فى بعض مسائل الدين بدعوى أنها آحاد وحادت بجملتها وتفصيلها عن الصراط السوى والطريق القويم .

فصل

وقد اتخذ القاديانية تلك الفتوى عدة لهم وسلاحا وأخذوا يطوفون بها على المسلمين الذين كانوا يسفهون أحلامهم، ويخطئون آراءهم، وهم فرحون مستبشرون، يقولون بلهجة الظافر المنتصر: ها هو ذا الأزهر يوافقنا ويخالفكم، فليس عيسى بحى ولا هو مرفوع . ولا هو نازل كما تزعمون فأين تذهبون؟![1] .

تحققنا هذا ولمسناه تارة بسماع صحيح الخبر ، وأخرى بمشاهدة البصر فرأيت أن اكشف من تلك الفتوى عوارها. وأمحو عن علماء الأزهر عارها. فألفت هذه الرسالة ، واختطفت من بين أنياب العوائق هذه العجالة ، وأعددتها على ضعف فى الاستعداد . وقلة من الموارد. وأجهدت نفسى فى تنسيقها، رغم تراكم الأهوال. وتفاقم الأحوال. وتوالى البلبال. وسميتها.

---

(١) ونشرت جريدة البشرى القاديانية التى تصدر فى بيروت فى عدديها ٥ و ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصرى !!.

«(**إقامة البرهان. على نزول عيسى فى آخر الزمان**)» أو «إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام فى حديث نزول عيسى عليه السلام».

والله أسأل . أن يجعلها عملا مقبولا مبرورا . وأن يجعل سعينا لديه مشكورا . وأن يدرج اسمنا فى خدام سنة نبيه الأمين. وأن يتحفنا وجميع أهلنا وأحبابنا بشفاعته يوم الدين، إنه الجواد الكريم والرءوف الرحيم .

المؤلف

❊ ❊ ❊



باب
إثبات نزول عيسى عليه السلام

اعلم أنه قد تواتر عن النبى ﷺ تواترًا لا خلاف فيه ولا نزاع أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، حاكما بهذه الشريعة المحمدية، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الاسلام ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه، ونحن نورد بحول الله فى هذا الباب ما يثبت ذلك من جهة الصناعة الحديثية فنذكر طرق الأحاديث ونتكلم عليها ، وبعد الفراغ من استيعابها حسب اجتهادنا وعلمنا ، نتبعها بسرد أقوال العلماء المصرحة بالتواتر وبوجوب اعتقاد مضمونه، حتى يظهر الحق واضحًا لا غبار عليه، ولا اشتباه فيه، والله يوفق من شاء هدايته لاتباعه.

فصل

ورد نزول عيسى عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبى هريرة ، وحذيفة بن أسيد، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله ، ومجمع بن جارية ، وأبى أمامة، وعثمان بن أبى العاص، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مغفل ، وعائشة، وسمرة بن جندب ، وأنس، وأبى سعيد الخدرى، وعمران بن حصين، وابن عباس، وأوس بن أوس ، وثوبان، وعبد الرحمن بن سمرة، ونافع بن كيسان الثقفى، وكيسان بن عبد الله بن طارق، ونافع بن عتبة،

وأبى برزة، وعمرو بن عوف، وبعض الصحابة ، وأبى الدرداء، ومن مرسل جبير بن نفير الحضرمى، والحسن، وعروة بن رويم التابعين، وهذا غير الموقوفات والمقطوعات وهى فى هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر فى علوم الحديث.

فصل

أما أبو هريرة فوردت عنه أحاديث كثيرة بلغت حد الاستفاضة والشهرة ونحن نذكرها بحول الله .

الحديث الأول:

قال البخارى فى صحيحه: باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ . وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلوانى وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به، ورواه البخارى ومسلم أيضًا من طريق سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهرى به، ورويباه أيضًا من طريق الليث بن سعد عن الزهرى به ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهرى به، ورواه ابن مردويه فى تفسيره من طريق محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير

ويكسر الصليب ويضع الجـزية ويفيض المال وتكون السجـدة واحدة لله رب العالمين» قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم **﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾**، موت عـيسى بن مريم، ثم يعيـدها أبو هريرة ثلاث مرات . ورواه الترمـذى وابن ماجه وغيـرهما، ورواه ابن أبى شيبـة أيضًا ولفظه: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مـقسطا وإمامًا عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيـض المال حتى لا يقبله أحد**» ورواه ابن سعـد فى الطبقات ولفظه. «**ينزل عـيسى بن مـريم قبل القـيامـة فيكـسر الصليب ويقـتل الخنزير ويجتمع الناس على دين واحد ويضع الجزية**».

الحديث الثانى:

قال البـخارى فى صـحيحـه حدثنا ابن بكيـر ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أبا هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فـيكم وإمامكم منكم**». تابعه عقيل والأوزاعـى ا هـ. ورواه أحمد عن عبد الـرازق عن معمر وعن عـثمان بن عمر عن ابن أبى ذئب كـلاهما عن الزهرى به. ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهرى به، ورواه أيضًـا من طريق ابن أخى الزهرى وابن أبى ذئب كلاهـما عن الزهرى أخبرنى نافع مولى أبى قتادة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فامكم منكم**» وقال الوليد بن مسلم: فـقلت لابن أبى ذئب إن الأوزاعى حـدثنا عن الزهرى عن نافع عن أبى هريرة «وأمامكم منكم» قال ابن أبى ذئب : تدرى مـا أمكم منكم؟ قلت تخبرنى قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

الحديث الثالث:

قال مسلم فى صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد**» ورواه أحمد عن حجاج وعن هاشم كلاهما عن الليث بن سعد به.

ورواه ابن حبان فى صحيحه قال: اخبرنا عبد الله بن محمد الازدى ثنا اسحق بن إبراهيم ثنا عمرو بن محمد العنقزى ثنا ليث بن سعد عن المقبرى عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة به.

الحديث الرابع:

قال الإمام أحمد: حدثنا روح ثنا محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن حنظلة بن على الأسلمى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما جميعا**» وكذا رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة والليث ابن سعد ويونس بن يزيد كلهم عن الزهرى به ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق عبيد الله بن عمر عن الزهرى به.

ورواه أحمد أيضًا من طريق سفيان بن حسين عن الزهرى عن حنظلة عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما**»

قال: وتلا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الآية. فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدرى هذا كله حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو شىء قاله أبو هريرة؟ وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن أبى موسى محمد بن المثنى عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهرى به.

الحديث الخامس:

قال أحمد: حدثنا عفان ثنا همام أنبأنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك فى زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه**» وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، ورواه أحمد أيضًا عن أبى يحيى عن ابن عروبة عن قتادة به، ورواه أبو داود عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى عن قتادة به نحوه، ورواه ابن جرير عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هرون عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم مولى أم برثن صاحب السقاية عن أبى هريرة به نحوه ورواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم عن همام عن قتادة به

نحوه وصححه وسلمه الذهبى، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الرحمن به نحوه، ورواه أيضًا من طريق هدبة بن خالد عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن به بلفظ أحمد.

الحديث السادس:

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم**» قال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم بن عقبة الضبى وهو ثقة. قلت: وقوله فعند ذلك ينزل عيسى أى عند نزول الدجال الخندق مع توجهه لحصار المسلمين وشروعه فيه كما جاء فى الروايات الأخرى والأحاديث يفسر بعضها بعضًا.

الحديث السابع:

أخرج الحاكم وصححه وسلمه الذهبى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليهبطن ابن مريم حكما عادلا وإمامًا مقسطًا وليسلكن فجًا حاجًا أو معتمرًا وليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه**». يقول أبو هريرة: أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام.

الحديث الثامن:

أخرج أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى بن مريم عليه السلام فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه منى السلام**». قال الحافظ الهيثمى رجال إسناده رجال الصحيح.

الحديث التاسع:

أخرج أحمد أيضًا عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكمًا مقسطًا وإمامًا عدلا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقرؤه أو اقرئوه السلام من رسول الله**» وأحدثه فيصدقنى ، فلما حضرته الوفاة قال أقرئوه منى السلام. قالل الحافظ الهيثمى: فى سنده كثير بن زيد وثقه أحمد وجماعة وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات.

الحديث العاشر:

أخرج الطبرانى فى الأوسط والصغير قال حدثنا عيسى بن محمد الصيدلانى البغدادى ثنا محمد بن عقبة السدوسى ثنا محمد بن عثمان بن سيار القرشى ثنا كعب أبو عبد الله - هو البصرى - عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا إن عيسى بن مريم ليس بينى وبينه نبى ولا رسول ألا إنه خليفتى فى أمتى من بعدى ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام**». قال الحافظ الهيثمى فى سنده محمد بن عقبة السدوسى وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم اهـ قلت ورواه الخطيب الحافظ فى التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهانى أخبرنا سليمان بن أحمد الطبرانى به .

الحديث الحادى عشر:

أخرج أحمد عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ينزل ابن مريم إمامًا عادلاً وحكما مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل**

الخنزير ويرجع السلم وتتخذ السيوف مناجل وتذهب حمة كل ذى حمة وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبى بالثعبان ولا يضره ويراعى الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعى الأسد البقر ولا يضرها».

الحديث الثانى عشر:

قال الحافظ أبو سعيد محمد بن على النقاش فى جزء له فى فوائد العراقيين: أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن على الهجيمى حدثنا جعفر الصائغ ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال «**طوبى لعيش بعد المسيح**» - يعنى بعد نزوله - يؤذن للسماء فى القطر ويؤذن للأرض فى النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبتت وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض ، قال أبو اسحق سمعه من جعفر الصائغ أبو داود السجستانى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأنا معهما أ هـ. قلت قوله ثنا سليم بن حيان. كذا قرأته فى نسختنا من الجزء المذكور ولم أدر من هو ؟ لكنى قرأت فى تاريخ الخطيب فى ترجمة جعفر الصائغ حديثا آخر بهذا الاسناد جاء فيه. ثنا إبراهيم بن على الهجيمى ثنا جعفر الصائغ ثنا سعيد بن سليمان ثنا يحيى بن سليم الطائفى ، قال الخطيب: كذا فى حديث الهجيمى. وفى حديث ابن خزيمة : محمد بن مسلم وهو الصواب أ هـ. فظهر لى من هذا أن الصواب فى الإسناد الذى أوردته هو يحيى بن سليم. وأن الناسخ كتبه سليم بن حيان خطأ لقرب الاشتباه بينهما ومثل هذا يقع من الناسخين لعدم علمهم بالأسانيد والرجال ، ورجال هذا الإسناد ثقات وبعضهم من رجال الشيخين. والحديث رواه أبو نعيم أيضًا .

الحديث الثالث عشر:

أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة**»، قال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات، وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث نزول عيسى قال: «فيمكث في الأرض أربعين سنة» ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه .

الحديث الرابع عشر:

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي هريرة يرويه قال: «**لا تزال عصابة من أمتي على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيسى بن مريم**» قال الأوزاعي فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال: لا أعلم أولئك إلا أهل الشام. قلت هذا رأى قتادة في المراد بالعصابة في الحديث وهو أحد الأقوال في المسألة (والقول الثاني) أن المراد بهم العرب حكاه القاضي عياض في الاكمال عن ابن المديني (الثالث) أن المراد بهم أهل الحدة والشوكة وهم أهل الجهاد حكاه ابن الأثير في النهاية (الرابع) أن المراد بهم الغزاة المرابطون بثغور الشام قاله التوربشتي (الخامس) أنهم الأمة كلها وهو ما يستفاد من كلام جماعة من العلماء قال البيضاوي والمراد أمة الإجابة (السادس) أن المراد بهم الصوفية حكاه المناوي في فيض القدير وحكاه غيره أيضًا (السابع) أنهم أهل السنة والجماعة قاله القاضي عياض في الإكمال (الثامن) أنهم أهل الحديث نقله الترمذي عن البخاري عن ابن المديني وهو قول أحمد والبخاري أيضًا (التاسع) أنهم المجتهدون في الأحكام الشرعية بناء على وجوب الاجتهاد في كل عصر وعدم خلو الأرض من مجتهد وهو قول

جماعة (العاشر) أن هذه العصابة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم علماء محدثون ومنهم فقهاء ومنهم زهاد ومنهم مجاهدون مقاتلون ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى غير ذلك من أنواع الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد أو قطر واحد . وهذا قاله النووى فى شرح مسلم احتمالا . هذه جملة الأقوال فى الحديث ذكرناها استطرادا تتميما للفائدة ومن أراد الوقوف على دليل كل منها وتمحيصها وبيان المعتمد منها فليرجع إلى رسالة أخينا وأستاذنا الحافظ السيد أحمد فى الكلام على هذا الحديث واسمها (الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة) وهى مفيدة.

الحديث الخامس عشر:

قال مسلم فى صحيحه حدثنى زهير بن حرب ثنا يعلى ابن منصور ثنا سليمان بن بلال ثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم[1] فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته**».

---

(١) أى يقصدهم .

الحديث السادس عشر:

أخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا موسى بن مطير عن أبيه عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى بن مريم**».

الحديث السابع عشر:

أخرج البزار عن أبى هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «**يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق فى زمن اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض فى أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها فيلقى المؤمنون شدة شديدة ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيؤم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال وظهر المسلمون**» فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنه لحق وأما أنه قريب فكل ما هو آت قريب، قال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير على بن المنذر وهو ثقة ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق آخر فقال أخبرنا أبو يعلى ثنا أبو خيثمة ثنا يونس بن محمد ثنا صالح بن عمر ثنا عاصم ابن كليب عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول أحدثكم ما سمعت من رسول الله الصادق المصدوق حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم أن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق فى زمان اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ما يشاء الله من الأرض فى أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها وينزل الله عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده

قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين قال أبو حاتم . قوله فى هذا الخبر فيؤمهم أراد به فيأمرهم بالإمامة إذ العرب تنسب الفعل إلى الآمر كما تنسبه إلى الفاعل كما ذكرنا فى غير موضع من كتبنا أ هـ قلت تأول ابن حبان هذا التأويل ليجمع هذا الحديث والأحاديث الأخرى التى تصرح بأن عيسى عليه السلام يأتم بإمام المسلمين عقب نزوله من السماء وهو تأويل حسن تؤيده قواعد اللغة العربية لكن بقى فى الحديث ما يحتاج إلى جواب ولم يتعرض له ابن حبان ، ذلك أن هذا الحديث يفيد أن قتل الدجال يحدث وعيسى بن مريم فى صلاة ، مع أن الأحاديث الأخرى التى ذكرت أن عيسى يقتل الدجال بباب لد أو قريب منه لم تذكر أن ذلك يكون أثناء الصلاة فكيف الجمع بين هذه وذاك؟ والجواب على ذلك سهل بتسهيل الله غير أنه يتوقف على مقدمة ، وهى أن الذى دلت عليه الأحاديث أن عيسى عليه السلام يصلى أول صلاة بعد نزوله من السماء وهى صلاة الصبح مؤتما بإمام المسلمين، إظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها . ثم بعد ذلك يتقلد عيسى مقاليد الأمور، ويصير خليفة المسلمين ، يحكم فيهم بشريعة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتجمع له الصلاة أى يصير هو الإمام فيها مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى، ومن هنا تعلم أن قوله فى هذا الحديث : فيؤمهم هو على ظاهره، لأن هذه الصلاة ليست صلاة الصبح التى يكون عيسى مؤتما فيها، بل هى صلاة غيرها . فهو إمام فيها. ولا شك أن مما شرعه الله لهذه الأمة فى جهادها مع العدو صلاة الخوف وهى ثابتة بالكتاب والسنة، ولها سبع عشرة صفة ذكرها الحافظ العراقى فى شرح الترمذى لكن أصولها ست صفات كما قال ابن القيم فى الهدى ، واعتمده الحافظ فى الفتح ، إذا تقرر هذا فالحديث محمول على أن عيسى عليه السلام يؤم

المسلمين فى صلاة خوف وهم يقاتلون الدجال ومن معه فإذا رفع عيسى رأسه من الركوع أمكنته الفرصة من العدو فيحمل على الدجال فيقتله ، ومباشرة الأعمال الواجبة الضرورية لا تمنع منها الصلاة كما هو معروف، وهذا معنى قوله وينزل الله عيسى بن مريم فيؤمهم ، فـإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال، أى على يد عيسى ، وإسناد القتل إلى الله من باب قوله تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ ، فبهذا التأويل يتضح المعنى ويكون الحديث متفقا مع غيره من الأحاديث متمشيًا مع قواعد الشريعة الغراء.

الحديث الثامن عشر:

أخرج أبو يعلى عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «**والذى نفس أبى القاسم بيده لينزلن عيسى ابن مريم إمام مقسطا وحكما عدلا فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله أحد ثم لئن قام على قبرى فقال يا محمد لأجبته**» قال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح أ هـ.

الحديث التاسع عشر:

أخرج أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الفتن عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتى ويموت ويستخلفون بأمر عيسى رجلا من تميم يقال له المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم**» .

فصل

الحديث العشرون:

عن حذيفة بن أسيد رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من طريق فرات القزاز عن أبى الطفيل - وهو صحابى - عن حذيفة ابن أسيد الغفارى ويكنى أبا سريحة - بفتح المهملة - قال اطلع النبى صلى الله عليه واله وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال «ما تذاكرون» قالوا نذكر الساعة ، قال «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**» ورواه مسلم أيضًا من طريق عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل عن أبى سريحة حذيفة بن أسيد به موقوفًا وهو لا يضر كما لا يخفى، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق سفيان بن عيينة عن فرات القزاز أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن أبى سريحة حذيفة بن أسيد قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر فقال: «**ما كنتم تتذاكرون**» قلنا: كنا نتذاكر الساعة، **فقال «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها** عشر آيات : **الدجال والدخان وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن أو اليمن تطرد الناس إلى المحشر**».

فصل

الحديث الحادى والعشرون:

عن النواس بن سمعان رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حمص حدثنى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول: **ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا. فقال «ما شأنكم» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل، فقال «غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا» قلنا يا رسول الله : وما لبثه فى الأرض؟ قال أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال «لا، اقدروا قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال «كالغيث أستدبرته الريح، فيأتى على القوم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها**

أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله. ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلي عيسى إنى أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتي يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمراتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

فصل

الحديث الثاني والعشرون:

عن عبد الله بن عمرو ، رواه مسلم فى صحيحه من طريق معاذ العنبرى عن شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم ابن عروة بن مسعود الثقفى يقول سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدا، إنما قلت : إنكم بعد قليل سترون أمرا عظيما، يحرق البيت، ويكون ويكون، ثم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين[1] ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»** قال: سمعتها من

(١) اعتمد بعضهم ظاهر هذه الرواية فقال إن عيسى يمكث بعد نزوله سبع سنين ولكن الصحيح أنه يقعد أربعين سنة كما فى أحاديث أخرى صحيحة أما هذا الحديث فيشير إلى أن السنين السبع الأولى عقب نزوله تكون أحسن مما بعدها - وإن كانت كل أيامه حسنة - بدليل قوله ليس بعد اثنين عداوة وليس قوله ثم يرسل الله ريحا إلخ بمناف لما قلنا لأن ثم للترتيب مع التراخى.

رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، قال «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون : فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا. قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ، قال: ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق**» ورواه مسلم والنسائى فى تفسيره عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن النعمان بن سالم به، ورواه الحاكم من طريق محمد بن جعفر - هو غندر - ثنا شعبة عن النعمان بن سالم به نحوه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين.

الحديث الثالث والعشرون:

أخرج الحاكم وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها؟**».

فصل

الحديث الرابع والعشرون:

عن جابر بن عبد الله قال مسلم فى صحيحه حدثنا الوليد بن شجاع هرون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالوا ثنا حجاج وهو ابن محمد عن

ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**» ورواه ابن حبان فى صحيحه قال: أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد ثنا يوسف بن سعيد ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج به.

الحديث الخامس والعشرون:

وأخرج أبو يعلى عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تزال أمتى ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فيقول إمامهم: تقدم فيقول أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أمر أكرم به هذه الأمة**».

الحديث السادس والعشرون:

وأخرج أبو نعيم فى أخبار المهدى عن جابر أيضًا مرفوعًا «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدى: تعال صل بنا فيقول: ألا وإن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة**».

الحديث السابع والعشرون:

وأخرج أبو عمرو الدانى فى سننه عنه أيضا قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تزال طائفة من أمتى تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدى فيقال تقدم يا نبى الله فصل بنا فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض**».

الحديث الثامن والعشرون:

وأخرج أحمد بإسنادين عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم «**يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه**» وذكر الحديث فى صفة الدجال إلى أن قال: «**فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادى من السحر، فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل جنى، فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلى بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرج إليه قال فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء، فيمشى إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادى: هذا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه أحد إلا قتله**» ، قال الحافظ الهيثمى: رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح قلت وصححه ابن خزيمة أيضًا .

الحديث التاسع والعشرون:

وأخرج الإمام أحمد أيضًا عن جابر قال إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون هو الدجال وذكر حديث ابن صياد ، وتردد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شأنه وفى آخره، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إئذن لى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إن يكن هو فلست صاحبه، إنما صاحبه عيسى بن مريم، وإلا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد**» قال الحافظ الهيثمى: رجال إسناده رجال الصحيح. قلت: هذا الحديث ونحوه محمول على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تردد فى ابن صياد قبل أن يعلمه الله أن الدجال لا يدخل المدينة

ولا مكة كما جاء فى أحاديث كثيرة، ولا شك أن ابن صياد ولد بالمدينة وأسلم وذهب إلى مكة حاجا صحبة أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة، وهذه أوصاف لا توجد فى الدجال قطعا.

فصل

الحديث الثلاثون:

عن مجمع بن جارية أخرجه الإمام أحمد قال: أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصارى عن عبد الله بن يزيد عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «**يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد أو إلى جانب لد**» ورواه أحمد أيضًا عن سفيان، ومن حديث الليث، والأوزاعى، ثلاثتهم عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن بن يزيد عن مجمع بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» ورواه الترمذى عن قتيبة عن الليث عن الزهرى به، وقال: هذا حديث صحيح، قال: وفى الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عتبة وأبى برزة وحذيفة بن أسيد وأبى هريرة وكيسان وعثمان بن أبى العاص وجابر وأبى أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وبن عوف وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أ هـ كلامه، قال الحافظ ابن كثير: ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدًا وهى أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة رواتها فى الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك أهـ.

فصل

الحديث الحادى والثلاثون:

عن أبى أمامة أخرجه ابن ماجه فى سننه قال حدثنا على بن محمد ثنا عبد الرحمن المحاربى عن إسماعيل بن رافع أبى رافع عن أبى زرعة السيبانى يحيى بن أبى عمرو عن أبى أمامة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله **«لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه وإن الله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا ويعيث شمالاً. ألا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا وإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى، إنه يبدأ فيقول أنا نبى فلا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة، وجنته نار»** وذكر حديثا طويلا فى أحوال الدجال وأعماله جاء فيه، فقالت أم شريك بنت أبى العكر يا رسول الله : فأين العرب يومئذ؟ قال: **«هم قليل، وجلهم يومئذ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام، فرجع ذلك الإمام يمشى القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتح الباب ووراءه**

الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى: إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله، ويهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال اقتله» وذكر بقية الحديث فيما يحصل فى زمن عيسى عليه السلام من انتشار الأمن والسلم وظهور البركة فى الأقوات والأرزاق على نحو ما جاء فى الأحاديث الأخرى، قال ابن ماجه بعد روايته : سمعت أبا الحسن الطناقسى يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول: ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب ورواه أبو داود فى الملاحم من سننه عن عيسى ابن محمد عن ضمرة عن يحيى بن أبى عمرو السيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى أبى عبد الجبار الشامى عن أبى أمامة به نحوه.

فصل

الحديث الثانى والثلاثون:

عن عثمان بن أبى العاص أخرجه الإمام أحمد والطبرانى من طريق على بن زيد عن أبى نضرة قال أتينا عثمان بن أبى العاص فى يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه ، فلما حضرت الجمعة، أمرنا فاغتسلنا . ثم أتينا بطيب فتطيبنا ثم جئنا المسجد ، فجلسنا فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار، مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال فى أعراض الناس ، فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يردون

المصر الذى بملتقى البحرين فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تبقى ، تقول : نشامه ننظر ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم، ومع الدجال سبعون ألفا عليهم السيجان وأكثر تبعه اليهود والنساء، ثم يأتى المصر الذى يليهم ، فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تقول: نشامه ننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، بغربى الشام. وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون سرحا لهم، فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر: يا أيها الناس أتاكم الغوث - ثلاثا - فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله تقدم فصل ، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلى ، فإذا صلى به ، أخذ عيسى عليه السلام حربته فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله، وينهزم أصحابه فليس شىء يومئذ يوارى منهم أحداً حتى أن الشجرة لتقول: يا مؤمن هذا كافر» قال الحافظ الهيثمى: على بن زيد فيه ضعف وقد وثق ، وبقية رجال أحمد والطبرانى رجال الصحيح أ هـ ورواه الحاكم من طريق سعيد بن هبيرة عن حماد بن زيد عن أيوب السختيانى وعلى بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة به، وأعله الذهبى بأن ابن هبيرة رواه ثم رواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن زيد عن على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة به فقال الذهبى هذا هو المحفوظ أ هـ قلت: يعنى الذهبى أن المحفوظ رواية من روى الحديث من طريق على بن زيد وحده ليس معه أيوب السختيانى، فالحديث حسن.

فصل

الحديث الثالث والثلاثون:

عن واثلة بن الأسقع أخرجه الحاكم قال أخبرنى أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدى ثنا عمران بن أبى عمران الصوفى ثنا صدقة بن المنتصر ثنا يحى بن أبى عمر والسيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى حدثنى واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب والدجال ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الناس تسوق الذر والنمل**» قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى ، وعزاه الحافظ الهيثمى إلى الطبرانى، وقال: فى سنده عمران بن هرون وهو ضعيف أ هـ قلت: عمران بن هرون هو عمران بن أبى عمران الصوفى المقدسى الرملى يكنى أبا موسى، قال أبو زرعة: صدوق ، وقال ابن يونس فى تاريخ الغرباء الذين دخلوا مصر بعد إذ ذكر روايته عن الليث وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم: فى حديثه لين أ هـ وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال: يخطئ ويخالف أ هـ وحديث حذيفة ابن أسيد فى صحيح مسلم يشهد لهذا الحديث فى اللفظ والمعنى كما يعلم من الموازنة بينهما، ولذا أقر الذهبى الحاكم على تصحيحه، وليس عمران ضعيفا كما أطلق الحافظ الهيثمى، بل هو صدوق فيه لين أى ضعف خفيف إذ اللين فى الإصطلاح معناه ذلك وهذا هو شرط الحسن والله أعلم.

فصل

الحديث الرابع والثلاثون:

عن عبد الله بن مسعود أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «**لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لى بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربى عز وجل أن الدجال خارج، ومعى قضيبان فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال فيهلكه الله إذا رآنى حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم إن تحتى كافراً فتعالى فاقتله، قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيطئون بلادهم فلا يأتون على شىء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فأعدو الله فيهلكهم ويميتهم ، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر ، فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ففيما عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلا أونهاراً**»، ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به ورواه الحاكم من طريق يزيد بن هرون أيضا عن العوام بن حوشب حدثنى جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم به نحوه إلا أنه قال «**إن الدجال خارج فأهبط فأقتله**»

وذكر الحديث، وهذه الرواية تفسر رواية أحمد التى فيها «فيهلكه الله إذا رآنى» والمعنى: أن الله يهلك الدجال بيد عيسى عليه السلام ، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ غاية ما فى هذا الأمر أن رواية أحمد عبرت بالحقيقة لأن الذى يخلق الهلاك هو الله سبحانه وتعالى، ورواية الحاكم أسندت الأمر إلى سببه العادى، لأن الذى يباشر قتل الدجال ويكون سببا فى هلاكه هو عيسى عليه السلام ، فلا تعارض بين الروايتين كما هو واضح . ثم إن الحديث صححه الحاكم، وأقره الذهبى.

(تنبيه) فى هذا الحديث من اللطائف رواية النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن عيسى عليه السلام ، وتسمى هذه الرواية ومثلها برواية الأكابر عن الأصاغر ، وهى فن لطيف من فنون علم الحديث أفرد بالتأليف.

فصل

الحديث الخامس والثلاثون:

عن حذيفة بن اليمان أخرجه الحاكم قال: حدثنى أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن شاذان الجوهرى ثنا سعيد بن سليمان الواسطى ثنا خلف بن خليفة الأشجعى ثنا أبو مالك الأشجعى عن أبى حازم الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران أحدهما نار تأجج فى عين من رآه، والآخر ماء أبيض فإن أدركه منكم أحد فليغمض عينه، وليشرب من الذى يراه ناراً فإنه ماء بارد، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من يكتب ومن لا يكتب ، وإن إحدى عينيه ممسوحة، عليها ظفرة. إنه يطلع من آخر أمره على بطن**

الأردن على ثنية أفيق، وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وإنه يقتل من المسلمين ثلثًا ويهزم ثلثا ويبقى ثلثا، ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم فى مرضاة ربكم، من كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه وصلوا حين ينفجر الفجر ، وعجلوا الصلاة ثم أقبلوا على عدوكم . فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه أمامهم. فصلى بهم. فلما انصرف قال: هكذا فرجوا بينى وبين عدو الله ، قال أبو حازم : قال أبو هريرة : فيذوب كما تذوب الإهالة فى الشمس ، وقال عبد الله بن عمرو: كما يذوب الملح فى الماء ، وسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى أن الشجر والحجر لينادى: يا عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم هذا يهودى فاقتله فيفنيهم الله ويظهر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ، ويضعون الجزية. فبينما هم كذلك ، أخرج الله يأجوج ومأجوج فيشرب أحدهم البحيرة - أى بحيرة طبرية كما فى أحاديث أخرى - ويجىء آخرهم ، وقد استقوه فما يدعون فيه قطرة فيقولون : ظهرنا على أعدائنا قد كان ههنا أثر ماء . فيجىء نبى الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها: «لد» فيقولون: ظهرنا على من فى الأرض فتعالوا نقاتل من فى السماء. فيدعو الله نبيه عند ذلك - أى عند قولهم هذا وتنفيذهم له بأن يوجهوا سهامهم إلى جهة السماء كما جاء فى أحاديث أخرى - فيبعث الله عليهم قرحة فى حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فتؤذى ريحهم المسلمين. فيدعو عيسى صلوات الله عليه فيرسل الله عليهم ريحًا - أى ومطرًا وطيرًا كما فى أحاديث أخرى - فتقذفهم فى البحر أجمعين». قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وسلمه الذهبى . قلت : قوله نزل عيسى بن مريم فصلى بهم الباء هنا بمعنى مع أى فصلى معهم،

ومجيء الباء بمعنى مع كثيرة. نحو اهبط بسلام منا أى مع سلام ، وسبح بحمد ربك أى مع حمده، والمسألة مبسوطة فى كتب النحو، وإنما أولناه ليتفق هذا الحديث مع الأحاديث الأخرى المصرحة بأن عيسى يصلى خلف إمام المسلمين صلاة الصبح عقب نزوله، والقاعدة الأصولية أن الظاهر المحتمل - كالباء فى بهم هنا - يؤول لموافقة النص الصريح، وقوله فى يأجوج ومأجوج: فيبعث الله عليهم قرحة فى حلوقهم يخالف حديث مسلم الذى يقول: فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم، وهو الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم، ويجمع بين الحديثين بأن الله يسلط عليهم الدود فى أعناقهم ورقابهم، وهو يحدث فيهم القرحة المذكورة.

الحديث السادس والثلاثون:

أخرج نعيم بن حماد عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله الدجال قبل أو عيسى بن مريم؟ قال: «**الدجال ثم عيسى بن مريم ثم لو أن رجلا نتج فرسا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة**».

الحديث السابع والثلاثون:

أخرج أبو عمرو الدانى فى سننه عن حذيفة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يلتفت المهدى وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر الماء من شعره فيقول المهدى: تقدم صل بالناس. فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلف رجل من ولدى**» الحديث.

الحديث الثامن والثلاثون:

أخرج نعيم بن حماد فى كتاب الفتن عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود**

وأصناف الناس. معه جنة ونار، ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد، ونهر من ماء ، وإني سأنعت لكم نعته. إنه يخرج ممسوح العين. في جبهته مكتوب كافر. يقرأه من كان يحسن الكتاب، ومن لا يحسن. فجنته نار، وناره جنة ، وهو المسيح الكذاب ويتبعه من نساء اليهود ثلاث عشرة ألف امرأة . فرحم الله رجلا منع سفيهه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ بالقرآن فإن شأنه بلاء شديد. يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له: استعن بنا على ما شئت. فيقول: نعم. انطلقوا فأخبروا الناس إني ربهم، وأني قد جئتهم بجنتي وناري. فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والده ، وولده ، وإخوته ، ورفيقه، ومواليه. فيقولون: أتعرفنا. فيقول الرجل: نعم هذا أبي، وهذه أمي ، وهذه أختي. فيقول الرجل: ما نبأكم؟ فيقولون: بل أنت فأخبرنا ما نبأك؟ فيقول الرجل: إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج. فيقول له الشياطين: مهلا. لا تقل هذا فإنه ربكم يريد القضاء فيكم. هذه جنة قد جاء بها ونار، ومعه الأنهار، والطعام، فلا طعام إلا ماكان قبله إلا ما شاء الله . فيقول الرجل : كذبتم ما أنتم إلا شياطين، وهو الكذاب. وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حدث حديثكم ، وحذرنا وأبناءنا منه فلا مرحبا بكم أنتم الشياطين وهو عدو الله، وليسوقن الله عيسى بن مريم حتى يقتله فيخشوا فينقلبوا خاسئين». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفقهوه، وتفهموه، وتعوه. فاعملوا عليه، وحدثوا به من خلفكم ، وليحدث الآخر الآخر فإن فتنته أشد الفتن». وقوله : ومعه رجال يقتلهم ثم يحييهم . هذا بظاهره يعارض ما جاء في الأحاديث الصحيحة: إن الدجال يسلط على رجل واحد يقتله ثم يحييه، ثم لا يسلط على أحد غيره.

والجواب على ذلك سـهل، وهو أن يقال هؤلاء الرجـال المذكورون فى هذا الحديث هم أتبـاع الدجال الذين يقتلهم ويحيـيهم في ظاهر الأمر كمـا يفعل الممخرقون أصـحاب الحيل المعروفون فى مصر بالحـواة فقد يأتى الواحد منهم بالخروف مثـلا فيشقه نصـفين فيما يبدو للعين ثم يرجع كـما كان، ولهم فى هذا الباب حيل وأعاجيب كلهـا مخاريق وأكاذيب وهذا بخلاف الرجل الذى يسلط عليه الدجال فـإنه رجل مؤمن يعارض الدجال ويكذبه. فيـقتله الدجال ثم يحييه. على نحو ما يفعل بأصحابه الذين هم معه. ثم لا يسلط على أحد غيره من المؤمنين حفظًا من الله لهم، وتثبـيتًا لإيمانهم. يؤيد ما ذكرناه ما رواه الطبـرانى عن عبـد الله بن مـعتـم عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم فى حديث الدجـال قال: «**ثم يدعـو -أى الدجال- برجل فـيمـا يرون فيؤمـر به فيقتل ، ثم يقطع أعـضاءه كل عضو على حدة فيفـرق بينها حتى يراه الناس ، ثم يجمـع بينها ، ثم يضرب بعصـاه فـإذا هو قائم . فيقول : أنا الله أحيى وأميت، وذلك كلـه سحريسـحر به أعين الناس ليس بعـمل من ذلك شيئا**». فبـهذا الجـواب ظهر أن لا تعـارض ولا تناقـض. فـالحمـد لله على مـا ألهم وأعلم.

فصل

الحديث التاسع والثلاثون:

أخرج ابن أبى شيبـة وابن عساكر عن حذيفة قـال : إن أصحاب النبى صلى ا للّه عليه وآله وسلم كانوا يسألون عن الخـير ، وكنت أسأل عن الشر مخـافة أن أدركه ، وإنى بينـما أنا مع رسول الله صلي اللّه عـليه وآله وسلم ذات يوم قلت : يا رسول اللّه أرأيت هذا الخيـر الذى أعطانا اللّه . هل بعده من شر ؟ كـما كان قـبله شر ؟ قال : «نعم» . قلت : فـما العصـمة منه ؟

قال: «السيف». قلت: وهل للسيف من بقية؟ قال : «هدنة على دخن» قلت: يا رسول الله ما بعد الهدنة ؟ قال : «دعاة للضلالة فإن لقيت لله يومئذ خليفة فى الأرض فالزمه ، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك وإلا - وفى لفظ - فإن لم يكن خليفة فاهربن فى الأرض حد هربك -أى منتهى هربك- حتى يدركك الموت وأنت عاض على أصل شجرة» . قلت يا رسول الله : فما بعد دعاة الضلالة ؟ قال : «خروج الدجال» . قلت يا رسول الله : وما يجىء به الدجال ؟ قال : «يجىء بنار و نهر فمن وقع فى ناره وجب أجره وحط وزره» قلت يا رسول الله : فما بعد الدجال ؟ قال : «عيسى بن مريم، قلت : فما بعد عيسى بن مريم ؟ قال : «لو أن رجلا نتج فرسًا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة» .

فصل

الحديث الأربعون:

عن عبد الله بن مغفل أخرجه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ، وقد قلت فيه قولا لم يقه أحد قبلى : إنه آدم جعد ممسوح عين اليسار . على عينه ظفرة غليظة ، وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ، ويقول : أنا ربكم فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه - أى فى دينه لا فى دنياه - ومن قال : أنت ربى فقد افتتن - أى كفر- يلبث فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقًا بمحمد على ملته إمامًا مهديًا ، وحكما عدلا فيقتل الدجال**» . فكان الحسن - يعنى البصرى - يقول : ونرى أن ذلك عند الساعة . قال الحافظ الهيثمى : رجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر أهـ . قلت : ولذا قال الحافظ

السيوطى فى الإعلام بحكم عيسى عليه السلام - وقد عزا الحديث إلى الطبرانى والبيهقى فى البعث - إن سنده جيد .

فصل

الحديث الحادى والأربعون:

عن أم المؤمنين عائشة رضى اللّه عنها أخرجه الإمام أحمد عنها قالت : دخل علىّ رسول اللّه صلي اللّه عليه وآله وسلم وأنا أبكى . فقال : «مايبكيك » قلت يا رسول اللّه ذكرت الدجال فبكيت . فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : **«إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه ، وإن يخرج بعدى فإن ربكم عزّ وجل ليس بأعور . إنه يخرج من يهودية أصبهان** - اسم مكان نسب إليه بعض العلماء كما فى كتب الكنى والأنساب - **حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب ، على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام مدينة فلسطين بباب لد** قال أبو داود مرة : **حتى يأتى مدينة فلسطين فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ، ويمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة إمامًا عدلا ، وحكما مقسطًا»** . قال الحافظ الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق ، وهو ثقة. قلت : ورواه ابن حبان فى صحيحه قال : أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السختيانى ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى الأشيب ثنا شيبان ابن عبد الرحمن عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمى بن لاحق عن أبى صالح عن عائشة .

فصل

الحديث الثانى والأربعون:

عن سمرة بن جندب أخرجه الإمام أحمد والطبرانى عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: **«إن الدجال خارج، وهو أعور عين الشمال،**

عليهـا ظفرة غليظة، وإنه يبـرىء الأكمه والأبرص، ويحـيى الموتى- أى على الطريقة التى بيناها فى الكلام على حديث حـذيفة - ويقول للناس: أنا ربكم. فمن قـال: أنت ربى فقد فتن، ومن قـال: ربى اللّه حتى يموت على ذلك فـقد عصم من فتنة الـدجال، ولا فتنة عليه فيلبث فـى الأرض ما شاء اللّه- أربعين يومًا على ما صـرح به فى الأحاديث الأخرى- ثم يخرج عيـسى بن مريم قبل المغرب- أى جهـة المغرب، وهى الشام- مصدقًـا بمحمد فيـقتل الدجال، وإنما هو قيام الساعة» كناية عن شدة قرب وقـوعها يومئذ. قال الحافظ الـهيثمى: رجال الحديث رجال الصحيح. قال: ورواه البزار بإسناد آخر ضعيف.

فصل

الحديث الثالث والأربعون:

أخـرج أحمـد ، والبزار ، وابن جـرير ، والطبرانى ، والطحـاوى ، وسعيد بن منصور ، والبيهـقى عن سمرة بن جندب فى حديث الكسوف قال : خطب النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم ، فحمـد اللّه وأثنى عليه ، وشهد أنه عبد اللّه ورسوله ، ثم قال : «أيها الناس أنشـدكم باللّه إن كنتم تعلمون أنى قـصرت عن شىء من تبليغ رسـالات ربى لما أخبـرتمونى ذلك» . قال : فقام رجال فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، وقضيت الذى عليك . ثم قال : «أما بعد فإن رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس ، وكسوف هذا القمر ، وزوال هذه النجوم عن مطالعها ، لموت رجال عظماء من أهل الأرض ، وإنهم قد كذبوا ، ولكنهـا آيات من آيات اللّه يختبر بها عـباده . فـينظر من يحـدث له منهم توبة ؟ وأيم اللّه لقد رأيت منـذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه فى أمر دنياكم وآخرتكم ، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الدجال ، وإنه متى يخرج فسوف يزعم أنه

اللّه تعالى . فمن آمن به ، وصدقه ، واتبعه لم ينفعه عمل صالح من عمل سلف ، ومن كفر به ، وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله سلف ، وإنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرام وبيت المقدس ، وإنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيحصرون حصراً شديداً . قال : فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيقتله وجنوده . حتى أن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى: يا مسلم هذا كافر تعالى فاقتله ، ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم فتتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها شيئًا ؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها ، ثم علي أثر ذلك الموت» . قال الحافظ الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد العبدى وثقة ابن حبان اهـ ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبى ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان أيضًا .

فصل

الحديث الرابع والأربعون:

عن أنس أخرجه الحاكم من طريق ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : **«سيدرك رجال من أمتى عيسى بن مريم ، ويشهدون قتال الدجال»** قال الحافظ الذهبى : حديث منكر ، وعباد ضعيف. قلت كذا قال ؟ مع أن معنى الحديث متواتر كما هو معلوم ، وقد صحح الذهبى نفسه أحاديث أبى هريرة ، وواثلة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وفيها الأخبار بخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كما تقدم . وعباد بن منصور قال عنه القطان : ثقة لا ينبغى أن يترك حديثه لرأى أخطأ فيه - يعنى القدر - ولينه أبو زرعة ، وقال ابن معين : ليس حديثه بالقوى ؛ ولكن

يكتب ، ولم يذكر الذهبى هذا الحديث فى الميزان من منكرات عباد ، ووجدت الحافظ الهيثمى عزاه لأبى يعلى وضعفه بعباد أيضًا ، ولعله تبع الذهبى فى ذلك ، وقد أخرجه الطبرانى أيضًا بإسناد فيه معاوية واهب . قال الحافظ الهيثمى : لم أعرفه ، ولفظ رواية الطبرانى: «**أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة وأشفع وسيدرك رجال من أمتى**» الحديث وبمجموع الطريقين يكتسب قوة .

الحديث الخامس والأربعون:

أخرج الحاكم أيضًا من طريق إسماعيل بن عياش عن أيوب عن أبى قلادة عن أنس قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : «**من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرأه منى السلام**» .

فصل

الحديث السادس والأربعون:

عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه أخرجه أبو نعيم فى أخبار المهدى عنه قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم «**منا الذى يصلى عيسى بن مريم خلفه**» .

الحديث السابع والأربعون:

عن عمران بن حصين رضى اللّه عنه أخرجه الحافظ أبو عمر والدانى فى سننه عنه قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم «**لا تزال طائفة من أمتى تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدى فيقال : تقدم يا نبى اللّه فصل بنا فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض**» قلت : كل من حديث لا تزال طائفة

من أمتى ، وحديث المهدى متواتر ، أما الأول فقد صرح بتواتره ابن تيمية فى أول كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، وذكر طرقه شقيقنا الحافظ السيد أحمد فى الأجوبة الصارفة ، وأما الثانى فصرح بتواتره جماعة من الحفاظ وأنكره ابن خلدون فرد عليه شقيقنا المذكور فى كتاب سماه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» جمع فيه أطراف المسألة جمعا متقنا وهو مطبوع بدمشق ، وقد كنت كتبت نحو عشر مقالات فى مجلة الإسلام بعنوان ظهور المهدى حق ، أوردت فيها أحاديث المهدى عن بضعة وثلاثين صحابيا ، وثلاثة من التابعين وجمعتها فى تأليف مستقل[١] .

فصل

الحديث الثامن والأربعون

عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أخرجه أبو نعيم فى أخبار المهدى عنه قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم «**لن تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى بن مريم فى آخرها والمهدى فى أوسطها**» ورواه الحاكم فى تاريخ نيسابور وابن عساكر فى تاريخ دمشق ولفظ روايتهما «**كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى ابن مريم فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها ؟**» والمراد بالوسط ما قبل الآخر ، قاله المناوى وغيره . وقال ابن حجر الهيتمى المراد بالوسط قريب آخرها ، حتى لا ينافى الروايات المصرحة بأنه فى آخرها ولتقدمه بيسير على عيسى وصفه بأنه وسط ووصف عيسى بأنه آخر أ هـ .

---

(١) وسنطبعه آخر هذا الكتاب .

الحديث التاسع والأربعون :

أخرج اسحق ابن بشر وابن عساكر عن ابن عباس قال : الدجال أول من يتبعه سبعون ألفا من اليهودعليهم التيجان يعنى الطيالسة ومعه سحرة اليهود ، يعملون العجائب ، ويرونها الناس فيضلونهم بها ، وهو أعور ممسوح العين اليمنى ، يسلطه الله على رجل من هذه الأمة فيقتله ثم يضربه فيحييه ، ثم لا يصل إلى قتله ، ولا يسلط على غيره ، وتكون آية خروجه تركهم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتهاونا بالدماء ، وضيعوا الحكم وأكلوا الربا ، وشيدوا البناء وشربوا الخمور ، اتخذوا القيان ، ولبسوا الحرير ، وأظهروا بزة آل فرعون ، ونقضوا العهد ، وتفقهوا لغير الدين ، وزينوا المساجد . وخربوا القلوب ، وقطعوا الأرحام ، وكثرت القراء ، وقلت الفقهاء ، وعطلت الحدود ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال، فتكافى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء بعث الله عليهم الدجال ، فسلط عليهم حتى ينتقم منه وينحاز المؤمنون إلى بيت المقدس ، قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**فعند ذلك ينزل أخى عيسى بن مريم من السماء على جبل أفيق**[1] **إمامًا هاديا وحكما عادلا عليه برنس له مربوع الخلق أصلت سبط الشعر بيده حربة يقتل الدجال فإذا قتل الدجال تضع الحرب أوزارها ، فكان السلم فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ، ويأخذ الحية فلا تضره، وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم ويؤمن به أهل الأرض، ويكون الناس أهل ملة واحدة**» قلت : هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فالواقع يؤيده ويقويه ، إذ أغلب ما أشار إليه الحديث أو كله موجود حاصل، والفساد فى ازدياد ، نسأل الله العفو والعافية .

---

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه .

فصل

الحديث الخمسون :

عن ثوبان أخرجه الإمام أحمد والنسائى والضياء المقدسى فى المختارة عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم**». قال المناوى فى شرح الجامع الصغير : إسناده حسن . قلت : بل إخراج الضياء للحديث فى المختارة يقتضى أنه صحيح ، ثم رأيت الحافظ الهيثمى عزاه للطبرانى فى الأوسط وقال : سقط تابعيه ، والظاهر أنه راشد بن سعد وبقية رجاله ثقات . قلت : ذهل عن عزوه إلى المسند . مع أن السند فيه تام . قال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا بقية ثنا عبد الله بن سالم وأبو بكر بن الوليد الزبيدى - بالضم - عن لقمان بن عامر الوصابى عن عبد الأعلى بن عدى البهرانى عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فذكر الحديث ، ورجاله ثقات ، وبعضهم موثق .

فصل

الحديث الحادى والخمسون :

عن عبد الرحمن بن سمرة أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عنه قال : بعثنى خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مؤتة . فلما دخلت عليه قلت : يا رسول الله فقال : «**على رسلك يا عبد الرحمن ، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل رحم الله زيداً ، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل فقتل رحم الله جعفراً ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل فقتل رحم الله عبد الله ، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله**

لخالد فخالد سيف من سيوف الله» . فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم حوله . فقال : «ما يبكيكم» قالوا : وما لنا لا نبكى ، وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ؟ فقال : «لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكيها وهيأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجًا ثم عامًا فوجًا ثم عامًا فوجًا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقًا من حوارييه .

فصل

الحديث الثانى والخمسون:

عن نافع بن كيسان الثقفى أخرجه ابن عائذ وتمام فى فوائده ، وابن شاهين وابن عساكر كلهم من طريق عبد الرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان عن أبيه عن جده نافع بن كيسان صاحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم رفعه : **«ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار فى ثوبين ممشقين كأنما ينحدر من رأسه اللؤلؤ»**. قلت: فى إسناده ضعف واضطراب. وهذا الحديث يفيد أن عيسى ينزل بالنهار بعد مضى ست ساعات منه والنهار فى عرف الشرع من طلوع الفجر إلى المغرب، فيخالف الأحاديث الأخرى المصرحة بأنه ينزل سحرًا قرب طلوع الفجر ببيت المقدس ، وأن إمام المسلمين يدعوه ليصلى بهم فيمتنع . ويجاب عن ذلك بأن عيسى عليه السلام ينزل نهارا فى دمشق كما فى هذا الحديث ، ثم يتوجه نحو بيت المقدس فيوافيه سحرًا كما فى الأحاديث الأخرى ، والله أعلم

فصل

الحديث الثالث والخمسون:

عن كيسان بن عبد الله بن طارق أخرجه البخاري فى التاريخ والطبرانى وابن السكن وابن منده من طريق ربيعة بن ربيعة عن نافع بن كيسان عن أبيه سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقى دمشق**» ورواه الربعى فى فضائل الشام، وتمام فى فوائده من طريق هشام بن خالد عن الوليد ابن مسلم عن ربيعة به. قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات. قال: وقيل فى هذا عن نافع بن كيسان ليس عن أبيه، وسيأتى فى النون. يعنى حديث نافع بن كيسان الذى ذكرناه آنفًا. ثم قال الحافظ: ونقل ابن أبى حاتم عن أبيه أن من قال فى الحديث فى نزول عيسى عن نافع ابن كيسان عن أبيه أخطأ، وإنما هو عن نافع بن كيسان عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أ هـ. قلت: كذا قال أبو حاتم؟ وفيه شيء، لأن كلا من نافع وكيسان صحابى. فما المانع أن يكون كل منهما روى حديث نزول عيسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا سيما وقد روى البخارى هذا الحديث عن كيسان بإسناد رجاله ثقات كما رأيت، والبخارى أحفظ من أبى حاتم ، وأعلم بعلل الأحاديث وأسانيدها منه بل هو شيخ الحفاظ وأمير المؤمنين فى الحديث، وأبو حاتم نفسه إنما استمد فى كلامه على العلل والرجال من تاريخ البخارى. كما صرح به أهل الفن، وكذلك أبو زرعة ومسلم بن الحجاج والترمذى وغيرهم كلهم كانوا يستمدون من البخارى كما هو معلوم ، والله أعلم.

فصل

الحديث الرابع والخمسون والخامس والخمسون:

عن نافع بن عتبة وأبى برزة أشار إليهما الترمذى فى سننه لما روى حديث مجمع بن جارية، وقد نقلنا كلامه فيما سبق فليرجع إليه.

فصل

الحديث السادس والخمسون:

عن عمرو بن عوف المزنى أخرجه ابن عدى فى الكامل قال : حدثنا بهلول بن إسحق ومحمد بن جعفر الإمام قالا : حدثنا إسماعيل بن أبى أويس حدثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ابن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده . قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول غزوة غزاها الأبواء حتى إذا كنا بالروحاء ، نزل بعرق الظبية فصلى ، ثم قال : **«اسم هذا الجبل رحمة جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه ، وبارك لأهله فيه» . ثم قال للروحاء : «هذه سجاسج[١] وإنها واد من أودية الجنة . لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيًا ، ولقد مر بها موسى عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفًا من بنى إسرائيل حاجين البيت ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى عبد الله ورسوله حاجًا أو معتمرًا»** . قلت : غزوة الأبواء هى غزوة ودان ، وهى أول مغازيه عليه الصلاة والسلام كانت على رأس سنة من مقدمه للمدينة رمى فيها سعد بن أبى وقاص سهمًا واحدا وهو

---

(١) سجاسج : جمع سجسج ، وهى الأرض التى تكون وسطًا بين الصلابة والسهولة، وقوله – قبل ذلك – رجمة بالجيم هو الحجارة ووقع فى ميزان الذهبى رحمة وشخاشيخ وهما تصحيف.

أول سهم رمى فى الإسلام ، ولم يحصل فيـها قتال . بل وادع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنى ضـمرة على ألا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جـمعًا ، ولا يعينوا عليه عدوا . ثم انصرف إلى المدينة بعد إذ غاب عنها خمس عشرة ليلة .

فصل

الحديث السابع والخمسون:

عن بعض الصحابة أخرجه معمر فـى جامعه عن الزهرى أخبرنى عمرو بن سفيـان الثقفى أخبرنى رجل من الأنصـار عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال. فقـال: «**يأتى سـباخ المدينة وهو مـحـرم عليه أن يدخلهـا**» ، وذكر الحـديث وحصـار الدجال للمـسلمين ببيت المقـدس إلى أن قال: «**فيـتبـايعون - أى المسلمون - على القتـال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفـسهم ، ثم تأخذهم ظلمـة لا يبصـر أحـدهم كفـه فـينزل ابن مـريم فيـحسـر عن أبصـارهم وبين أظهـرهم رجل عليه لأمـة فيـقول : مـن أنت . فيـقول : أنا عـبد الله وروحـه وكلمـتـه عـيسى ، اخـتـاروا إحـدى ثلاث : بين أن يبـعث الله على الدجـال وجنوده عـذابًا جسيـمًا أو يخـسف بهم الأرض أو يرسل علـيهم سـلاحكم ويكف سلاحـهم فيـقولون: هذه يا رسول الـله أشفى لصدورنا فـيومـئذ ترى اليهودى العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون إليهم فيسلطون عليهم ويذوب الدجال حتى يدركه عيسى فيقتله**» .

فصل

الحديث الثامن والخمسون:

عن أبى الدرداء رضى الله عنه أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خير أمتى أولها وآخرها وفى وسطها الكدر، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**». إسناده ضعيف كما قال المناوى.

فصل

الحديث التاسع والخمسون:

من مرسل جبير بن نفير أخرجه ابن أبى شيبة والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والحاكم من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما اشتد جزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من قتل يوم مؤتة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليدركن الدجال من هذه الأمة قومًا مثلكم أو خيرًا منكم - ثلاث مرات - ولن يخزى الله أمة وأنا أولها وعيسى بن مريم آخرها**». قال الذهبى: مرسل، وهو خبر منكر أ هـ. قلت: أما الإرسال فمجبور بورود الحديث موصولا من طريق عبد الرحمن بن سمرة كما تقدم مع وجود شواهد لمعناه كحديث ابن عمرو وابن عباس وغيرهما. وأما النكارة فالذهبى قصد بها ما يفيده ظاهر الحديث من أفضلية غير الصحابة عليهم، وهو خلاف ما اقتضته الأدلة وانعقد عليه الإجماع من أفضلية الصحابة على سائر الأمة. ويجاب عن ذلك بأن الحديث خرج مخرج التسرية والتسلية للصحابة عمن فقدوهم يوم مؤتة، وليس ظاهره مرادا ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى جزعهم وحزنهم أراد

أن يسرى عنهم فأخبرهم أن الخير لا ينقطع عن هذه الأمة المحمدية على مدى الزمان حتى أن الدجال إذا خرج أدرك قوماً هم فى الفضل والخير مثل الصحابة، إن لم يكونوا خيرا منهم ، وذكرت الخيرية هنا تأييدا لحصول المثلية المذكورة قبلها، وأنها متحققة بحيث لم يبق شك إلا فيما زاد عليها من الخيرية - أى الأفضلية - ومثل هذا التعبير شائع معهود ، والمراد بالمثلية فى الحديث أن هؤلاء القوم الذين يدركهم الدجال يماثلون الصحابة فى شدة التمسك بالحق وانفرادهم بالدفاع عنه فى وقت يعم فيه الفساد ويجمع اليهود، وفى مقدمتهم الدجال، على محاربة المسلمين واستئصال شأفتهم كما كان الحال فى صدر الإسلام. وليس المراد أنهم مثل الصحابة فى جميع ما لهم من المزايا والفضائل[1] ، والحاصل أن الحديث يدل على بقاء الخير فى هذه الأمة وعدم انقطاعه فهو بمعنى الحديث الآخر: **«مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»**، وفى رواية: **«مثل أمتى مثل المطر يجعل الله فى أوله خيرا وفى آخره خيرا»**. والحديث فى مسند أحمد وسنن الترمذى وغيرهما من طرق، وهو حديث حسن. أما حديث **«الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»** فلا أصل له، وسئل عنه الحافظ ابن حجر فقال: لا أعرفه، والله أعلم.

فصل

الحديث الستون:

من مرسل الحسن البصرى أخرجه ابن جرير فى تفسيره قال: حدثنى المثنى حدثنا إسحق ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه فى قول الله تعالى: «إنى متوفيك».

---

(١) ذكر ابن العربى فى الأحكام فى الكلام عن قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» الآية حديث أبى ثعلبة : إن من ورائكم أيام الصبر للعامل فيها أجر خمسين منكم، فقالوا: بل منهم ،و فقال: بل منكم، الحديث وأجاب عنه بجواب حسن يراجع هناك.

قال: يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه. قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لليهود: «**إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**».

فصل

الحديث الحادى والستون:

من مرسل عروة بن رويم أخرجه أبو نعيم فى الحلية عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خير هذه الأمة أولها وآخرها. أولها فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآخرها فيهم عيسى بن مريم عليه السلام وبين ذلك نهج أعوج ليس منك ولست منهم**». قلت: قوله وبين ذلك نهج أعوج هو بمعنى حديث أبى الدرداء «وفى وسطها الكدر» وكلاهما يشير إلى ما يحصل فى الوسط من فتن ومعاصى وعقائد زائغة كما هو مشاهد فى هذا الزمن. نسأل الله العفو والعافية.

فصل

فهذه ستون حديثًا يرويها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية وعشرون صحابيًا، وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحًا لا يحتمل تأويلا ولا روغانًا فهل يجوز للمتعلم قبله العالم أن يشطب على هذه الأحاديث بجرة قلم ويقول عنها ما قاله صاحب الفتوى حيث جاء فيها (ص٥١٥و٥١٦ من العدد ٤٦٢ من مجلة الرسالة) ما نصه: «أما آية النساء فإنها تقول: «بل رفعه الله إليه»، وقد فسرها بعض المفسرين - بل جمهورهم - بالرفع إلى السماء ويقولون : إن الله ألقى على غيره شبهة ، ورفعه بجسده إلى السماء فهو حى فيها، وسينزل منها آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويعتمدون فى ذلك، أولا: على روايات

تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث، وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل. وثانيًا : على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد ، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى المغيبات» أ هـ كلامه وهو مع إيجازه جامع لعدة أغلاط:

(الأول) قوله فى آية النساء: وقد فسرها بعض المفسرين - بل جمهورهم - بالرفع إلى السماء يفيد : أن من المفسرين من فسرها بغير الرفع، وهذا غير صحيح فإن المفسرين متفقون على القول برفع عيسى إلى السماء ، ووافقهم من قال بموته أيضًا وهما وهب بن منبه وابن حزم ودونك كتب التفسير فإنك واجد فيها ما ذكرناه لا ما زعمه صاحب الفتوى.

(الثانى) قوله: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، عبر بالروايات إشارة إلي أنها ليست عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا غير صحيح. بل ما عبر عنه بالروايات كله أحاديث مرفوعة لا موقوفة ولا مقطوعة كما علم مما تقدم ، ولم يكن العلماء ليجمعوا على اعتقاد نزول عيسى اعتمادا على روايات لم ترفع ، وهم أنفسهم مجمعون على أن المغيبات لا يعمل فيها إلا بما صح عن المعصوم كما نبه عليه غير واحد منهم.

(الثالث) قوله: وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها، وهذا غير صحيح. فإن تلك الأحاديث أو

الروايات - على حد تعبيره - كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب إلخ ما جاء فيها، غاية ما فى الأمر أن بعضا منها يفصل ، وآخر يجمل ، وبعضًا يوجز ، وآخر يطنب ، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة فى سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التى ذكرت فيها . فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذى يقوى شأن الحديث ، ويدل على تعدد مخارجه تعارضًا. فأخطأ. وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها، وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أعمل فكره وأمعن نظره وأخلص فى بحثه لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر فى أذيال الخجل.

(الرابع) قوله : وقد نص على ذلك علماء الحديث - يعنى أنهم نصوا على الاضطراب وتعذر الجمع - وهذا غير صحيح . فعلماء الحديث نصوا على التواتر، لا الاضطراب ، وعلى وجوب اعتقاد ما تضمنه ، لا على رده بدعوى اضطراب وتعذر جمع موهومين ، وستتلى عليك نصوصهم بعد بحول الله .

(الخامس) قوله: وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهذا غير صحيح. فلقد ذكرنا ستين حديثًا من طرق أحد وثلاثين شخصًا ليس فيهم وهب ولا كعب . أفليست هذه الدعوى وغيرها فى كلامه دلائل على أنه ما أخلص فى بحثه؟!

(السادس) قوله: وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام يقصد بهذا الكلام نقصهما وتقليل شأنهما كما هو ظاهر من دلالة السياق، وما

قصده خطأ غير صواب. لأن كونهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام مما يمدحان به ويغبطان عليه. لما روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة لهم أجران. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**». فلكل من وهب وكعب أجران بنص الحديث، وهى مزية لهما على صاحب الفتوى الذى يجرحهما بما هو مدح وثناء. ولهذه المناسبة يجب أن نقول: إن الطعن فى الراوى بكونه من أهل الكتاب، طريقة الشيخ رشيد رضا فى رد الأحاديث التى تخالف هواه، وهى طريقة غير جيدة، لأنها تفتح الباب على مصراعيه للمبتدعين الزائغين فى تجريح كثير من الصحابة والتابعين. ثم هى مخالفة لما عليه المحدثون فإن العبرة عندهم بثقة الراوى وعدالته، لا بأصل دينه ونشأته، فقد يكون الرجل مجوسيًا. ولكنه ساعة رواية الحديث مسلم ثقة فمن ذا يقول إن روايته ترد الآن لمجوسيته بالأمس؟ لا أحد يقول ذلك. بل المحدثون كلهم يقولون: العبرة بوقت الأداء لا بوقت التحمل - أى أنه لو تحمل الحديث وهو كافر ثم أداه وهو مسلم - قبل أداؤه بلا نزاع. وانظر تراجم الصحابة والتابعين تجد كثيرين منهم كانوا مجوسًا أو أهل كتاب فلم يضرهم ذلك عند الله وعند الناس شيئًا إذ أسلموا وأتقوا وأحسنوا. بل كانوا هم خير القرون وأفضل الأمة بالنص والإجماع. فليطمئن صاحب الفتوى وليعلم أن ما سلكه فى التجريح تبعا للشيخ رشيد وحده لا يفيد عند المحدثين ولا عند غير المحدثين.

(السابع) قـوله : وقد عرفت درجتـهما فى الحديث عند علمـاء الجرح والتعديل يريد بهذا تضعـيفهما وعدم قبول روايتهـما ، ونحن نقول بموجبه - لكن على غـير مـا يريد - نعم : قد عـرفت درجتـهمـا عند علمـاء الجرح والتعديل بالثناء عليهما وتعديلهما ، والجـواب عما قيل فى حقهما : فوهب بن منبه يقـول عنه الذهبى فى الميزان : من أخيـار علماء التابعين حـديثه عن أخـيه همـام فى الصـحيـحين ، وكان ثقـة صـادقا كـثيـر النقل من كـتب الإسرائيليات ، قال العجلى: ثقة تابعى كـان على قضاء صنعاء ، وقال مثنى بن الصباح : لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً . ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة . قال الجوزجانى : كتب كتابا فى القدر، ثم ندم . وقال أحمد بن حنبل : كـان يتهم بشىء من القدر ثم رجع أ هـ . وكعب الحبـر أخرج له أبو داود والترمذى والنسائـي . روى عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وغيرهما وجمـاعة من التابعين ، وكان عمر يقول له : خوفنا يا كعب ، وكـان يستشيره فى أشيـاء ويعمل برأيه ، وذكره أبو الدرداء فقال : إن عنده علـما كثيراً ، وقـال معاوية بن صالح عن عـبد الرحمن بن جبير قال : قال معاوية : ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثـمار وإن كنا فـيه لمفرطين ، وكـان عبد الـلّه بن الزبير يقربه ويـسمع منه الشيء الكثير ، وشهد له بالصدق فيما كان يحدثه به . قرأت فى الجزء الثانى من أمالى عبد الرزاق أخبرنا معمـر عن أيوب عن ابن سيرين قال : قال عبد اللّه ابن الزبير : ما شىء كان يحدثنا به كـعب إلا قد جاء على ما قال ، إلا قوله : إن فـتى ثقيف يقتلنـى ، وهذا رأسه بين يدى يعنى المختـار . قال : يقول ابن سيـرين : ولا يشعر أن أبـا محـمد - يعنـى الحجـاج - قد خـبىء له ا هـ، وكذلك معـاوية كان يأخذ عنه ، ويسمع مـنه ، ويقول : كان من

أصدق هؤلاء الذين يحدثوننا . يعنى مسلمى أهل الكتاب . أما قوله : وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . فمحمول عند العلماء على الإسرائيليات التى كان يحدث بها فإن فيها الكذب . لا أنه يكذب لأنه ثقة كما فى الجزء الثانى من تاريخ ابن كثير وغيره ، وقال النووى : اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه أهـ ، والمقصود أن كعبا ووهبا ثقتان من خيار التابعين .

(الثامن) قوله : وثانيا على حديث مروى عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى ، هذا غلط من وجهين : الأول أن المفسرين وغيرهم لم يستندوا فى القول بنزول عيسى إلى حديث أبى هريرة وحده بل إلى الأحاديث الكثيرة المتعددة التى صرحوا بأنها متواترة . الثانى وهو (التاسع) فى سلسلة الأغلاط : أن حديث أبى هريرة لم يقتصر على الإخبار بنزول عيسى بل أخبر - مع ذلك - بأنه يقتل الخنزير والدجال ويكسر الصليب ويدعو الملل كلها إلى الإسلام ، ودونك أحاديث أبى هريرة التى أوردناها فهى ناطقة بكل ذلك . (العاشر) قوله : وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد هذا غلط من وجهين أيضًا : الأول أن غرضه بقوله وإذا صح هذا الحديث التشكك فى صحته كما يدل عليه سياق الكلام وروح الفتوى ، وحينئذ فالصحيح عربية استعمال إن الشرطية لأنها تدل على الشك . أما استعمال إذا فغلط لأنها مختصة بالمتيقن والمظنون كما صرح به النحويون فى كتبهم وذكره الحافظ فى فتح البارى الثانى ، وهو (الحادى عشر) من الأغلاط قوله : فهو حديث آحاد وهذا غلط لا يحتاج إلى بيان لأنه واضح مما تقدم ، ومما يأتى إن شاء اللّه . (الثانى عشر) قوله : وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة - وهذا غير صحيح - وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا فى خبر الواحد هل يفيد الظن أو العلم على قولين . الأول : أنه

إنما يفيد الظن فقط ، وإلى هذا ذهب الجمهور ، ثم اختلفوا فذهب أكثرهم إلى أنه لا يفيد العلم سواء إنضمت إليه قرائن أم لا ؟ وذهب الآمدى وابن الحاجب وابن السبكى وغيرهم إلى أنه يفيد العلم بانضمام قرائن إليه . قال السيد الشريف فى حاشية الشرح العضدى : هذا هو المختار ، وكذا قال الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة ، الثانى : أن خبر الواحد العدل يفيد بنفسه العلم اليقينى النظرى من غير انضمام قرينة. وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل، وحكاه ابن خويز منداد البغدادى المالكى عن مالك بن أنس واختاره وأطال فى تقريره فى كتاب له فى أصول الفقه ، وحكاه ابن حزم الحافظ فى كتاب الأحكام عن الحارث ابن أسد المحاسبى وداود بن على الأصبهانى إمام أهل الظاهر ، والحسين ابن على الكرابيسى ، قال : وبه نقول ، ثم اختلفوا . فقال أحمد فى أحد قوليه وابن حزم وغيرهما : حصول العلم بخبر الواحد العدل مطرد ، وقال آخرون : لا يطرد . فجملة الأقوال فى خبر الواحد أربعة[1] ، وعلى القول الثانى المختار . فالخبر المحتف بالقرائن أنواع : حديث الشيخين ، والحديث المستفيض ، ويسمى المشهور ، والحديث المسلسل بالحفاظ الأئمة . كما لك وأضرابه . فكل واحد من هذه الأحاديث يفيد العلم . كما يعلم من محله . إذا تقرر هذا فاعلم أن الذين يرون خبر الواحد مفيداً للعلم . يقولون إنه يفيد العقيدة كما هو واضح ، ولذا كان الإمام أحمد يستند فى كثير من الصفات والعقائد السمعية إلى أحاديث آحاد صحيحة ، وكذلك يفعل ابن حزم فى كلامه على العقائد . بل هذا هو

---

(١) الأول يفيد الظن مطلقاً . الثانى يفيد العلم بقرينة، وهو المختار. الثالث يفيد العلم من غير قرينة باطراد . الرابع يفيد العلم لا باطراد .

مقتضى صنيع المحدثين كالبخارى ومسلم وابن خزيمة وأصحاب السنن والحاكم وغيرهم إذ يستدلون فى كتاب التوحيد من مصنفاتهم بأحاديث صحيحة تتعلق باللّه ، أو برسله وملائكته ، أو الحشر وما يتبعه ، أو بالقضاء والقدر ، أو غير ذلك من السمعيات . وللحافظ البيهقى كتاب الأسماء والصفات ، وكتاب الاعتقاد ، من رآهما أو غيرهما من كتبه وكتب غيره تيقن صحة ما قلناه، والمسألة مبسوطة فى كتب المصطلح المتداولة أثناء الكلام، على العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل دون العقائد والأحكام .

أما الذين يقولون : إن خبر الواحد لا يفيد عقيدة فهم معظم الجمهور إذ يرونه مفيداً للظن مطلقًا كما تقدم ، ومما ذكرناه يتبين لك أن الاجماع الذى حكاه صحاب الفتوى غير صحيح .

(الثالث عشر) قوله : ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات - أى أن العلماء أجمعوا على أنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد فى شأن المغيبات - كذا قال ؟ ! وهى دعوى أوسع من الغبراء ، وأكبر من أن تظلها الخضراء فكيف تحمل تبعتها صاحب الفتوى على ضعفه ؟! لم يقل أحد من العلماء قبل هذا الوقت - لا من المحدثين ، ولا من الفقهاء[1] ولا من الأصوليين ولا من المتلكمين - إن حديث الآحاد لا يعتمد عليه فى المغيبات ، بل الإجماع منعقد على ضد ذلك . فانظر - كتب السنة على اختلاف أنواعها من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم وأجزاء وكتب التفسير وكتب السير والمعجزات والخصائص وكتب الملاحم وأشراط الساعة وكتب الترغيب

---

(١) إلا ما حكاه ابن تيمية فى رفع الملام عن طوائف من الفقهاء فيما يختص بالوعيد ثم رده انظر ص ٩٩-١٠٢ من مجموعة الرسائل الكبرى له.

والترهيب - تجدها ملأى بأحاديث الآحاد فى شأن المغيبات من ثواب وعقاب وأخبار عن أشياء ماضيــة وآتية وغير ذلك . وشراح الحديث كالخطابى وابن بطال والداودى والمازرى وعياض والنووى والقرطبى والكرمانى ومغلطاى وابن سيد الناس والدميرى والعراقى وابن حــجر والعينى والطيبى وزكريا الأنصارى والسيوطى والقســطلانى والزرقانى وغيرهم ممن لا يحصــيهم العد ، كلهم - على اختلاف مذاهبهم - متفقون على قبول هذه الأحاديث ، والاستنباط منها وعدها من أعلام النبوة وتأويل ما أشكل ظاهره منها، والجمع بين متعارضها. ثم كتب المصطلح كلهــا تنص على أن الصحابى إذا قال قولا ليس للاجــتهاد فيه مجــال ، ولم يكن يأخذ عن الإسرائيليات . فقولــه مرفوع حكما - أى يحكم بأنه سمــعه من النبى صلى اللّه عليــه وآله وسلم - وما فــائدة المرفوع سوى العمل به ؟ وإذا نقلوا أشياء فى المغيــبات عن بعض الصحابة أو التابعين ممن عرف بالأخذ عن الإسرائيليــات يعقبونها بقولهم : مــثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح عن المعصــوم . تجد ذلك فى مواضع من كتب البيهــقى خصوصًا الأسماء والصفــات ، وفى تفسير ابن كثير وتاريخه ، وغــيرهما . بل صرح ابن كثيــر فى أول تاريخه بأن العمدة والاســتناد فى المغيبات علــى كتاب اللّه وسنة رسوله مما صح نقله أوحسن ، ونقل كلامه الحافظ السخاوى فى كتاب: «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ» ، وفى كتاب : «الأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوارة الإنجيل» ، وأقره وأيده .

فصل

ولو سلمناجدلا أن حــديث أبى هريرة آحاد كمــا تزعم الفتوى فــيجب الاعتماد عليه فى هذه المسألة لأمور :

(الأول) أن نزول عيسى عليه السلام من الأحداث الواقعة فى الدنيا قبل انقراضها. فهو خبر كغيره من الأخبار التاريخية المتعلقة بحوادث هذا العالم ، وما كان من هذا القبيل لا يشترط فيه التواتر . بل يكفى فيه خبر الواحد العدل بإجماع المؤرخين والأخباريين ، ووجوب التصديق بوقوع هذا الحادث من أجل أن الشارع أخبر به . لا يجعله من قسم العقائد التى يطلب فيها البرهان كالإلهيات والنبوات . ذلك لأن كل ما أخبر به الشارع يجب تصديقه حتى فى الفروع الفقهية كما هو معلوم ، ولذا قال الأستاذ أبو إسحق الاسفراينى وغيره : إن المباح مكلف به من حيث وجوب اعتقاد إباحته .

(الثانى) أننا لو قلنا : إن نزول عيسى من قبيل العقا ئد فنقول : المعتبر فى العقيدة شرعًا هو العقد الجازم ، وهذا قد يحصل بخبر الواحد وبالتقليد بناء على ما صححه ابن السبكى وغيره ، والقول بأن إيمان المقلد لا يصح قصرا للإيمان على أهل البرهان منسوب إلى أبى الحسن الأشعرى ، وهو وإن صححه السنوسى فى شرح الكبرى مردود عند جماعة المحققين ، وقد شنعوا على الأشعرى بأنه يلزمه إكفار العوام ، وهم غالب المؤمنين وقال أبو القاسم القشيرى فى دفع التشنيع : هذا القول مكذوب عليه . لكنه مشهور عنه - كما فى المقاصد - فلا سبيل إلى تكذيبه . فالأولى فى دفع التشنيع ما سلكه التاج السبكى فى رفع الحاجب حيث قال : التقليد يطلق تارة بمعنى قبول قول الغير بغير حجة، ويسمى اتباع العامى لإمامه تقليدا على هذا، وهو العرف، وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجب. والتقليد على هذا، وهو العرف، وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجب. والتقليد بالمعنى الأول قد يكون ظنًا، وقد يكون وهمًا كما فى تقليد إمام فى فرع من الفروع ، مع تجويز أن يكون الحق فى خلافه ولا شك أن هذا لا يكفى فى الإيمان عند سائر الموحدين،

ولعله مقصــود الأشعرى بقوله : لا يصح إيمان المقلد . قال : وأمــا التقليد بالمعنى الثانى فكان أبى رحمه اللّه يقول : لم يقل أحد من علماء الإسلام إنه لا يكفى فى الإيمــان إلا أبو هاشم من المعــتـزلــة ، وأنا أقــول : إن هذا لا يتصور فإن الإنسان إذا مــضى عليه زمن لابد أن يحصل عنده دليل ، وإن لم يكن على طريقــة أهل الجدل . فإن فــرض مصــمم جازم لا دليل عنده فــهو الذى يكفــره أبو هاشم ، ولعله المنســوب إلى الأشعــرى والصحــيح أنه ليس بكافر ، وأن الأشعرى لم يقل ذلك .

نعم . اختلف أهل السنة فــى أنه : هل هو عاص ؟ والأصح عند أبى حنيفــة رحمه الــلّه أنه مطيع ، وعند آخرين : أنه عــاص ، وهو الخلاف فى وجوب النظر فاعرفه أ هـ .

(الثالث) أن خبر الآحــاد يفيد العلم عند القرينة على المختــار كما تقدم وحديث أبى هريرة قد احتــفت به قرائن منها : كونه مخرجًــا فى الصحيحين ومنها : وروده من طرق ، ومنها : تسلسله فى بعض الــطرق بالأئمة الحفاظ المتقنين فقد رواه البخارى عن علي بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المســيب عن أبى هريرة ، وهؤلاء بحور العلم وأطواد الرواية . الواحد منهم يقوم مقام عدد كثير من غيرهم ، وباللّه التوفيق .

فصل

وقــد ثبت نزول عيــسى عليــه السلام بالقــرآن أيضــا كمــا ثبت بالسنة المتواترة، وذلك فى بضع آيات :

(الأول) قول اللّــه تعالى فى البــشارة بعــيسى ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ . قال ابن جــرير فى تفسيــره: حدثنى يونس أخبــرنا ابن وهب قال

سمعتـه. يعنى ابن زيد يقول فى قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾. قال: قد كلمـهم عيسى فى المهد، وسـيكلمهم إذا قتل الدجـال، وهو يومئذ كهل، وقال ابن جـرير أيضًا: حدثنى يونس أخبـرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. قال: مـتوفـيك قابضـك. قال: متوفيك ورافـعك واحد قال: ولم يمت بعد، حتى يقتل الدجـال وسيموت، وتلا قول الله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾. قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا. قال: وينزل كهلا. وقال الحسين بن الفضل البجلى: إن المراد بقـوله: «وكهـلا» أن يكون كهـلا بعد أن ينزل من السـماء فـى آخر الزمان، ويكـلم الناس، ويقتل الدجـال. قال الحسين بن الفـضل: وفى هذه الآية نص فى أنه عليه الصلاة والسـلام سينزل إلى الأرض أ هـ. وقال ثعلب فى قوله: «وكهلا» ينزل عيسى إلى الأرض كهلا أ هـ.

وقـال العلامـة الآلوسى فى الكلام على هذه الآية مـا نصـه: «ويكلم الناس فى المهد وكـهلا» عطف على الحال الأولى أيضـا، وعطف الفعل على الاسم لتأويله به سائغ شائع، وهو في القرآن كثير، والظرف حال من الضمير المستكن فى الفعل، ولم يجعل ظرف لغو متـعلقًا به مع صحته لعطف وكهلا عليه، والمراد يكلمهم حال كونه طفلا وكـهلا، والمقصود التسوية بين الكلام فى حال الطفولية، وحال الكهـولة، وإلا فالكلام فى الثانى ليس مما يختص به عليه السلام، وليـس فيه غرابة، وعلى هذا فالمجـموع حال - لا كل على الاستقـلال - وقيل: إن كلا منهمـا حال والثانى تبشيـر ببلوغ سن الكهولة، وتحديد لعمره، والمـهد: مقر الصبى فى رضاعه، وأصلـه مصدر سمى به. وكان كلامه فى المهد ساعة واحدة بما قص الله تعالى لنا، ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام، قاله ابن عباس وقيل: كان يتكلم دائـمًا، وكان كلامه فيه

تأسيسًا لنبـوته، وإرهاصًا لها على ما ذهب إليه ابن الأخشـيد، وعليه يكون قوله: «وجعلني نبيًا» إخبارًا عما يؤول إليه.

وقال الجبـائي: إنه سبحانه، أكمل عـقله عليه السلام إذ ذاك، وأوحى إليه بما تكلم به مـقرونًا بالنبـوة، وجوز أيضًا أن يكون ذلك كـرامة لمريم دالة على طهارتها وبراءة ساحتها مما نسبه أهل الأفك إليها، والقول بأنه معجزة لها بعيد، وإن قلنا بنبوتها . والكهل مـا بين الشاب والشيخ، ومنه اكتهل النبات إذا طال وقـوى، وقد ذكـر غيـر واحد : أن ابن آدم مـا دام فى الرحم فهـو جنين. فإذا ولد فـهو وليد. ثم مـا دام يرضع فهو رضـيع. ثم إذا قطع اللبن فهو فطيم. ثم إذا دبّ ونما فهـو دارج. فإذا بلغ خمسة أشبار فـهو خماسى. فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور. فإذا نبتت أسنانه فهو مثغر بالتاء والثاء. كما قال أبو عمرو ، فإذا قارب عشر سنين أو جـاوزها فهو مترعرع وناشئ. فإذا كاد يبلغ الحلم - أو بلغه - فـهو يافع ومراهق . فإذا احتلم واجتـمعت قوته فهو حزوّر ، واسـمه فى جميع هذه الأحوال غلام. فإذا اخـضر شاربه وأخذ عذاره يسيل . قيل: قـد بقل وجهه. فإذا صار ذا فتاء فهـو فتى وشارخ فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع. ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شـاب. ثم كهل إلى أن يستـوفى الستين. ويقال لمن لاحت فيـه أمارات الكبـر وخطه الشيب. ثم يقـال: شاب ثم شـمط. ثم شاخ. ثم كـبر. ثم هرم. ثم دلف. ثم خرف. ثم أهتـر. ومحاظله إذا مـات، وهذا الترتيب إنما هو فى الذكور. ثم ذكـر الترتيب فى الإناث ثم قال: وعلى مـا ذكر فى سن الكهولة يـراد بتكليمه علـيه السلام كـهلا تكليـمه لهم كذلك بـعد نزوله من السماء، وبلوغه ذلك السن، بناء على ما ذهب إليه سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وغيرهما أنه عليـه السلام رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة،

وأنه سينزل إلى الأرض ويبقى فيها أربعًا وعشرين سنة كما رواه ابن جرير بسند صحيح عن كعب الأحبار ، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد فى الآية قال: قد كلمهم عيسى فى المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل أ هـ قلت: الصحيح أن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما جاء فى الحديث الصحيح. هذا وزعم ابن القيم فى زاد المعاد أن ما يذكر من أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. قال الشامى فى سيرته: وهو كما قال، فإن ذلك إنما يروى عن النصارى والمصرح به فى الأحاديث أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة أ هـ، ونقله الزرقانى فى شرح المواهب مستشهدًا به على ما صححه من أن عيسى ويحيى عليهما السلام إنما بعثهما الله بعد بلوغ أربعين سنة كسائر الرسل. معللاً ذلك بأن سن الأربعين ، هو سن الكمال.
قلت: هذا كله عن الصواب بمعزل، والعجب من ابن القيم كيف نفى وجود أثر فى المسألة مع أنه ورد فيها حديث مرفوع، وآثار عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وابن زيد وغيرهم من علماء التابعين. قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه ما نصه: قال الحسن البصرى : كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعًا وثلاثين سنة، وفى الحديث : أن أهل الجنة يدخلونها جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ، وفى الحديث الآخر : على ميلاد عيسى ، وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ، أنه قال: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أ هـ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا هاشم بن القاسم ثنا صفوان بن صالح ثنا رواد بن الجراح العسقلانى ثنا الأوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم**

ستين ذراعًا بذراع الملك[1] **على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون»**. وأما ما رواه الحاكم فى المستدرك ويعقوب بن سفيان الفسوى فى التاريخ عن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها: أنه لم يكن نبى كان بعده نبى إلا عاش الذى بعده نصف عمر الذى كان قبله، وأن جبريل أخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، فلا أرانى إلا ذاهبًا على رأس ستين[2] ، فهو حديث غريب كما قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه. ونقل عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: الصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر أ هـ، وما رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: قالت فاطمة قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن عيسى بن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة ضعيف أيضًا، لأنه منقطع كما قال الحافظ ابن كثير، وما جاء فى الحلية عن زيد بن أرقم مرفوعًا: **«ما بعث الله نبيًا إلا عاش نصف ما عاش النبى الذى كان قبله»** إسناده واه كما قال المناوى فى شرح الجامع الصغير، وقول ابن الديبع إسناده حسن -- غير حسن - وحديث «ما من نبى نبئ إلا بعد الأربعين» لا أصل له، وقد ذكره الزمخشرى فى تفسير سورة القصص من الكشاف فقال الحافظ الزيلعى فى تخريج أحاديثه: لم أجده، وكذا قال الحافظ ابن حجر فى اختصاره لتخريج الزيلعى، بل ورد ما يعارضه. قال الطبرانى فى الأوسط:

---

(١) الملك - بكسر اللام - وذراع الملك يكنى به العرب عن الذراع الكامل غير المنقوص.

(٢) مما يضعف هذا الحديث مخالفته لأصح الروايات وأشهرها فى قدر عمر النبى عليه السلام وهو ثلاث وستون سنة. انظر شروح الصحيحين وكتب السير.

حدثنا محمد بن عمر بن منصور البجلى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن قابوس ابن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًا إلا وهو شاب، ولا أوتى عالم علمًا إلا وهو شاب، والصحيح الذى اعتمده المحدثون والمؤرخون كابن جرير وابن كثير وغيرهما أن عيسى عليه السلام أنزل عليه الوحى وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتى رفع إلي السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وهو الذى اعتمده أيضًا جمهور العلماء. قال الشهرستانى فى الملل والنحل: وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون، وقد أوحى إليه انطاقًا فى المهد، وإبلاغًا عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه أ هـ.

تنبيهان : (الأول) روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار» فهذا الحديث يخالف ما سبق، والجواب عنه من وجهين: (أحدهما) أن إسناده ضعيف. (وثانيهما) ما ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، وهو: أن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين: تارة يذكرون النيف للتحرير، كما فى الأحاديث المتقدمة، وتارة يحذفونه كما فى هذا الحديث. قال ابن القيم: وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم أ هـ.

(الثانى) لعل أحدًا يعترض ما نقلناه عن ابن زيد وغيره فى تفسير الآية من أن عيسى عليه السلام إنما يكون كهلا بعد نزوله إلى الأرض بما جاء فى كتب اللغة: أن الكهل من جاوز الثلاثين، وقيل: من بلغ أربعًا وثلاثيًا إلى إحدى وخمسين ، وقد يؤيد اعتراضه بما جاء فى البحر المحيط لأبى حيان حيث قال فى تفسير الآية ما نصه: لم يتعرض لوقت كلامه إذا كان كهلا.

فقيل: كلامه قبل رفعه إلى السماء. كلمهم بالوحى والرسالة، وقيل: ينزل من السماء كهلا ابن ثلاث وثلاثين سنة. فيقول لهم : إنى عبد الله كما قال فى المهد ، وهذه فائدة قوله: وكهلا أخبر أنه ينزل عند قتله الدجال كهلا قاله ابن زيد أهـ .

وعلى هذا يكون عيسى عليه السلام قد كلم الناس كهلا، وتحققت الآية الكريمة، ولم يكن فيها دلالة على نزوله إلى الأرض آخر الزمان.

(والجواب) أن الكهل حقيقة من بلغ أربعين سنة. مأخوذ من قولهم: اكتهل النبت إذا تم طوله، وظهر نوره. قال الأعشى:

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

أى منتهاه فى الحسن والتمام، ولا شك أن سن الأربعين هو نهاية أشد الإنسان ووقت استواء قوته ، وكماله عقله . قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ الآية، وورد عن مجاهد تفسير الكهل بالحليم، وهو تفسير باللازم غالبًا كما قال أبو حيان قال: لأن الكهل يقوى عقله وإدراكه وتجربته فلا يكون فى ذلك كالشارخ أ هـ. أما ما بين الثلاثين والأربعين . فهو سن الشباب. بدليل ما تقدم فى كلام الآلوسى نقلا عن غير واحد، وهو المنصوص عليه فى المخصص وغيره، بل ورد الحديث به أيضًا . وروى أبو بكر بن أبى داود من طريق الأوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم، . ولا يفنى شبابهم». فهذا الحديث نص فى المسئلة كما ترى.

نعم. قد يطلق الكهل على من جاوز ثلاثين سنة. كما جاء فى كتب اللغة. لكنه إطلاق مجازى. لأن الشخص إذا جاوز الثلاثين من عمره دخل فى عقد الأربعين. ثم هو بحسب الغالب المعتاد فى أعمار الناس، واصل إلى نهاية العقد - فصح تسميته كهلا بهذا الاعتبار - على سبيل المجاز المرسل، ويسمى هذا النوع مجاز الأول. (فإن قيل): لا يتعين ما ذكرته، بل يجوز أن يكون لفظ الكهل حقيقة فيمن بلغ الأربعين، ويكون من قبيل المشترك اللفظى.

(فالجواب على هذا) أن الاشتراك خلاف الأصل والتجوز - وإن كان مثله فى ذلك - فهو أولى منه. لأنه أكثر استعمالا فى الكلام. حتى ادعى ابن جنى أن أغلب اللغات مجاز، ولهذا قال الأصوليون: إذا دار اللفظ بين أن يكون مجازًا أو مشتركًا فالراجح حمله على المجاز. لأنه أعم وأغلب. نص عليه الإمام الرازى فى المحصول وابن الحاجب فى المنتهى، وابن السبكى فى جمع الجوامع، وغيرهم. قال الشوكانى فى إرشاد الفحول: وهو الحق. فما سلكناه هو المتعين من حيث القواعد اللغوية والأصولية، وبهذا يتبين أن من حمل قوله تعالى «ويكلم الناس فى المهد وكهلا» على أنه كلمهم بالوحى والرسالة قبل رفعه إلى السماء. حمله على معنى مجازى، والمجاز لابد له من قرينة، ولا قرينة تعين هذا المجاز فى الآية. فالواجب تفسيرها بما ذكره ابن زيد والحسين ابن الفضل البجلى وغيرهما، واختاره الألوسى حيث لم يعرج على غيره كما تقدم، وتكون الآية الكريمة دالة على نزول عيسى عليه السلام، ومبشرة أيضًا بنجاته من الصلب. لأن اليهود تعرضوا له قبل سن الكهولة، وقد وعد الله ببلوغه إياه. فلابد من تحقيق وعد الله، وذلك يقتضى أنه حى الآن كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

فصل

(الآية الثانية) قول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً**﴾ ، وهذه مثل الآية الأولى ، والكلام فيها مثل الكلام فيها، ولذا قال الحافظ السيوطى فى تكملة تفسير الجلال المحلى عقب قوله: وكهلا، ما نصه: يفيد نزوله قبل الساعة . لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران أ هـ ، وقال فى آل عمران ما قررناه آنفًا .

(تنبيه) اشتملت هذه الآية والتى قبلها على نكتتين لطيفتين:

(الأولى) الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلا ، وقد قال المفسرون : إن هذا وعد من الله بأنه سيعيش إلى سن الكهولة ، وهو معنى صحيح . لكن فى الآية - مع هذا - معنى آخر لم يعرجوا عليه فيما علمت ، وهو الإشارة إلى أن كلامه كهلا يأتى على خلاف المعتاد المعهود . فإن الناس يتكلمون كهولا وشبانًا . ليس فى ذلك ما يدعو إلى العجب ، ولكن العجيب فى شأن عيسى عليه السلام أن يرفع شابًا ويغيب مئات السنين فى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجثمانية ، ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا . لا جرم أن هذا أمر غريب استحق لقرابته أن ينوه الله به فى آيتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان تارة أخرى ، ولذا قابله فى كلتا الآيتين بأمر لا يقل عنه غرابة ، وهو كلامه فى المهد . فاشتملتا بذلك على معجزتين عظيمتين ، وإلى هذا أشار أحمد بن يحيى ثعلب بقوله : ذكر الله لعيسى آيتين : تكليم الناس فى المهد ، فهذه معجزة ، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فهذه الآية الثانية أهـ . وقوله ابن ثلاثين سنة: لعله سبق لسان عن قوله أربعين. لأن عيسى رفع ابن ثلاث وثلاثين سنة.

(النكتة الثانيــة) التعبير بالناس حـيث قال تعالى : «ويكلم الناس» ولم يقل : ويكلم بنى إسرائيل ، أو قـومه ، كما هو المعـهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصـة ، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قـومه فحسب ، بل هم وغـيرهم ممن ينزل عليهم آخـر الزمان ، واقرأ قولـه تعالى فى سـورة آل عمران فـى شأن البشـارة بعيـسى عليه الـسلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، وانظر كيف خص رسـالته بقومـه فقط لأنه لم يكن مرسـلا إلى غيـرهم ، ثم قابله بقـوله تعالى : «ويكلم النـاس فى المهد وكهلا» تجد بينهما تخالفًا فى الخصوص والعموم ، مع أنهما فى سياق البشارة والتنويه بعيسى علـيه السلام . فما هذا التخـالف - واللّه أعلم - إلا للنكتة التى أبديناها ، وللإشـارة إلى أن كلامـه فى حالتى طفـولته وكـهولتـه ليس بوصف كـونه رسولا . فـتأمل هذا جـيـدًا واحفظه فـإنه من أسرار الكتـاب الكريم، وهو مما فتح اللّه به على . فالحمد للّه حمدًا كثيرًا .

فصل

(الآية الثالثة) قول اللّه تـعالى فى سورة النساء : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . معنى الآية : وإن من أهل الكتاب . أى ما مـن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به - أى بعـيسى عليه السلام - وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكما بهذه الشريعة المحمدية. داعيًا إليها. فلا يبـقى يهودى ولا نصرانى إذ ذاك إلا آمن به أنه عـبد اللّه ورسوله ، وتصـير الملل كلها ملة واحدة هى : ملة الإسلام ، ويوم القـيامة يكون عليهم - أى على اليهـود - شهـيدا ، يشـهد على من كـفر به منهم ، وكـذبه ، وافترى عـليه . فالضميـران فى به ، وفى موته عائدان على عيسى عليه السـلام ، وراجعان إليه

كما تبين . وهذا التفسير الذى ذكـرناه فى الآية هو تفسير أبى هريرة وابن عباس وقتادة وابن زيد وأبى مالك والحسن وغيرهم .

(أمـا تفسـير أبى هريرة) فـقد ثبت عـنه فى صحـيحى البـخارى ومـسلم وغيرهما، وأوردناه بأسانيده فى أول أحاديث النزول ، فلا حاجة إلى إعادته .

(وأما تفـسير ابن عبـاس) فرواه الفريابى وعـبد بن حميـد الكشى والحاكم وغيرهم عنه فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ . قال: خروج عيسى عليه السـلام ، وصححه الحاكم ، وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق بعضها صـحيح عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ . قال : قبل موت عـيسى . وروى ابن جرير عنه أيضًا فى الآية نفسهـا قال : يعنى أنه سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يبـعث عيسى فيؤمنون به .

(وأما تفسير قتادة) فرواه ابن جرير عنه ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ قال : قبل موت عيسى ، إذا نزل آمنت به الأديان كلها ، ورواه أيضًا من طريق آخر نحوه .

(وأمـا تفسـيـر ابن زيد) فرواه ابن جـرير عنه فى قـوله : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ . قال : إذا نزل عـيسى فقـتل الدجال لم يبق يهودى فى الأرض إلا آمن به .

(وأما تفسير أبى مـالك) فرواه ابن جرير أيضًا عنه فى قوله : ﴿ **إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ . قال ذلك عند نزول عـيسى بن مريم : لا يبـقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به .

(وأما تفسير الحسن) فقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ثنا على بن عثمان اللاحقى ثنا جويرية بن بشير قال : سمعت رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد قول الله عز وجل : «إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» . قال : قبل موت عيسى . إن الله رفع إليه عيسى وهوباعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر والفاجر ، وروى ابن جرير عنه نحوه من طرق متعددة ، وهذا هو المتعين الذى لا يجوز غيره ولا يصح سواه ، والدليل عليه أمور : (أحدها) أنه قول أبى هريرة وابن عباس وهما صحابيان جليلان شاهدا التنزيل ، وعرفا مقاصده بسليقتهما العربية وبتلقيهما عن الرسول . (ثانيها) أنه موافق للأحاديث المتواترة التى صرحت بنزول عيسى، وأن جميع الكتابيين يؤمنون به، بعد نزوله، وتصير الملل كلها ملة واحدة، ولهذا كان أبو هريرة إذا روى حديث «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين» . يقول عقبة : واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ للإشارة إلى أن الحديث يفسر الآية ويعين المراد منها فهما متطابقان متوافقان .

(ثالثها) أن المتحدث عنه فى الآيات قبل هذه الآية هو عيسى عليه السلام . اقرأ قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الآيات . تجد الكلام مسوقًا لتبرئة عيسي عليه السلام مما رمى به . فوجب أن تكون الضمائر كلها راجعة إليه ، أخذًا بدلالة السياق ، وعملا بما توجبه قواعد اللغة العربية التى نزل بها القرآن العظيم ، ولا يجوز العدول عن هذا إلا لمقتض يقتضى ذلك ، ولا مقتضى للعدول هنا البتة .

(رابعها) أنه لو أعيد الضمير فى به أو فى موته على غير عيسى عليه

السلام، لوجب أن يكون مرجع أحد الضميرين غير مرجع الضمير الآخر ، وفى ذلك تشتيت للضمائر من غير أن تكون قرينة فى اللفظ تدل عليه ، بخلاف ما لو عادا إلى عيسى عليه السلام . فإن الكلام يستقيم على وتيرة واحدة من غير تشتيت ولا تعقيد .

(أما من ادعى أن الضمير فى موته عائد على الكتابى) ، والمعنى : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به - أى بعيسى قبل موت الكتابى - وذلك إذا عاين قبل أن تزهق روحه . فتمسك بما جاء عن ابن عباس أنه فسره بذلك . فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه . قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه . قال : وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع . قال : يتكلم بها فى الهواء ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ، وجاء عن مجاهد وعكرمة والضحاك وابن سيرين نحو ذلك . وبأن قراءة أبى بن كعب فى هذه الآية : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم﴾ - بضم النون - من يؤمنن، وضمير الجمع فى موتهم ، وهى تعين عود الضمير على الكتابى ، وإنما جمع الضمير باعتبار أن أحدًا المقدر فى الآية فى معنى الجمع .

(والجواب) أن الذى استفاض عن ابن عباس وصح عن أبى هريرة وغيره ، هو القول الأول دون الثانى ، ولو فرضنا صحة القولين عنه فيترجح الأول منهما بموافقته للحديث المتواتر ، ولقواعد اللغة العربية - كما قدمناه آنفًا - فيتعين المصير إليه ، وقراءة أبىّ شاذة لا يجوز الاحتجاج بها كما لا تجوز تلاوتها ، بناء على ما صححه إمام الحرمين ، وأبو نصر القشيرى ، وابن السمعانى ، وابن الحاجب، وغيرهم من عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة ، وهو مذهب مالك، وقال النووى : إنه مذهب الشافعى ، لأنها نقلت آحادًا فيما تتوفر الدواعى على

نقله تواترا ، ولأنها قد تكون مذهبًا لصاحبها . كقراءة ابن مسعود . فإن كثيرا منها تفسيرات بحسب اجتهاده ، ولو جوزنا الاحتجاج بها بناء على ما صححه ابن السبكى من إجرائها مجرى الآحاد ، فذلك حيث لا يوجد ما هو أقوى منها، وفى هذا الموضع وجد الحديث المتواتر الذى عين المراد من الآية ، كما تقدم عن أبى هريرة وغيره ، والمتواتر مقدم على الأحاد إجماعًا . قال الحافظ ابن كثير فى الكلام على هذه الآية ما نصه : قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول ، ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح . لأنه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام ، وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك . فأخبر اللّه تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وأنه باق حى ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة . كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التى سنوردها قريبًا إن شاء اللّه . فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» أى قبل موت عيسى الذى زعم اليهود - ومن وافقهم من النصارى - أنه قتل وصلب ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا- أى بأعمالهم التى شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض - أما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابى لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع . وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلى له ما كان جاهلا به ، فيؤمن به ، ولكن لا يكون إيمانًا نافعًا له إذا كان قد شاهد الملك . كما قال تعالى فى أول هذه السورة : «وليست التوبة للذين

يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن» ، وقال تعالى: «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده» الآيتين . لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا . بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى وبقاء حياته فى السماء ، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى أهـ كلامه ، وقال أيضًا بعد أن نقل قول الحسن الذى ذكرناه بإسناده فيما تقدم قريبًا ما لفظه : وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله أهـ . ويعنى بالدليل القاطع الأحاديث المتواترة فى نزول عيسى عليه السلام، كما هو واضح، وقال الإمام العلامة أبو حيان فى البحر المحيط ما نصه: والظاهر أن الضميرين فى به وفى موته عائدان على عيسى ، وهوسياق الكلام، والمعنى : من أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان. فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة ، وهى ملة الإسلام ، قاله ابن عباس والحسن وأبو مالك أهـ . وبهذا يرد قول العلامة الآلوسى : إن عود الضمير فى موته على عيسى غير ظاهر . ذلك أن أبا حيان - مع تقدمه فى التفسير والحديث إمام فى اللغة العربية والنحو والقراآت غير منازع . بل لا يعلم فيمن تكلم على تفسير القرآن أنحى منه . فهو حين استظهر عود الضميرين على عيسى عليه السلام ، إنما استظهر ما اقتضته قواعد اللغة العربية التى برز فيها على غيره حتى ألقت إليه بالمقاليد

(وأما من ادعى عود الضمير فى به على محمد عليه الصلاة والسلام) وهو منقول عن عكرمة فقد أغرب فى الدعوى وأتى بما لا يستطيع أن يقيم عليه دليلا ، بل لو تأمل هذا القائل قليلا وأدرك ما يلزم على قوله هذا من الركاكة التى يتنزه عنها القرآن ، لعدل عن كلامه معترفًا ببطلانه وقد قال ابن

جرير فى إبطاله ما نصه: وأما الذى قال عنى بقوله : ليؤمنن به قبل موته ، ليؤمنن بمحمد صلى اللّه عليه وسلم قبل موت الكتابى فمما لا وجه له مفهوم، لأنه لم يجر لمحمد صلى اللّه عليه وسلم فى الآيات التى قبل ذلك ذكر ، فيجوز صرف الهاء التى فى قوله ليؤمنن به إلى أنها من ذكره ، وإنما قوله : ليؤمنن به ، فى سياق ذكر عيسى وأمه واليهود ، فغير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة . فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد .

{تنبيه} تبين مما أوردناه من الأدلة أن احتمال عود الضمير فى موته على الكتابى ضعيف ، واحتمال عوده فى به على غير عيسى باطل ، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية ، ولا تقوى للاستمساك فتكون الآية الكريمة نصًا فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر ، واللفظ يكون نصًا بنفسه تارة ، وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى نصوصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول .

فصل

(الآية الرابعة) قول اللّه تعالى فى سورة الزخرف فى الكلام على عيسى عليه السلام :﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ . أى وإن عيسى لعلم للساعة تعلم بنزوله فلا تشكن فيها ، بهذا فسرها النبى صلى اللّه عليه وآله وسلم . قال ابن حبان فى صحيحه : ذكر البيان بأن نزول عيسى بن مريم من أعلام الساعة . أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا هشام ابن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم عن أبى رزين عن أبى يحيى مولى ابن عفراء

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : «وإنه لعلم للساعة» قال نزول عيسى بن مريم من قبل يوم القيامة . هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وعاصم من أئمة القراء المشهورين . وجاء عن ابن عباس وأبى مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبى صلي صلى الله عليه وآله وسلم ، وآثارهم مروية فى تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة ، وطرق متعددة ، كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة ، وهذا التفسير هو المتعين الذى لا يجوز فى الآية غيره ، والدليل عليه أمور : (أحدها) أنه الذى صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم . (ثانيها) أن سياق الكلام فى عيسى عليه السلام اقرأ قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ . فغير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة. كما قال ابن جرير فيما سبق. (ثالثها) أنه لو أعيد الضمير على غير عيسى كما قيل لأوجب ذلك ركة فى اللفظ تتنزه عنها بلاغة الكتاب الحكيم. (قال العلامة الآلوسى) ما نصه: وعن الحسن وقتادة وابن جبير أن ضمير إنه للقرآن لأن فيه الإعلام بالساعة فجعله عين العلم مبالغة أيضًا. وضعف بأنه لم يجر للقرآن ذكر هنا مع عدم مناسبة ذلك السياق، وقالت فرقة: يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وفيه من البعد ما فيه وكأن هؤلاء يجعلون ضمير: أم هو، وضمير: إن هو، له صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا، وهو كما ترى أ هـ. (وقال أيضًا أثناء تمحيص الأقوال) ما نصه:

وكذلك رجوع الضمير إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى: «أم هو» مع رجوعه إلى عيسى عليه السلام فى قوله «إن هو إلا عبد» - أى لا يجوز أيضًا - وفيه من فك النظم ما يجب أن يصان الكتاب المعجز عنه ، ولا يكاد يقبل القول برجوع الضمير الثانى إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعل الرواية عن الحبر غير ثابتة أ هـ . قلت: قد تحقق ترجى الآلوسى ، فإن الذى صح عن ابن عباس إعادة الضمائر فى أم هو . وإن هو . وإنه . على عيسى عليه السلام ولم يأت عنه خلاف هذا بإسناد ثابت. كما أن قتادة لم يقل قط : أن الضمير فى وإنه. للقرآن ، وإنما حكاه عن غيره كما رواه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما فذكره مع القائلين به سهو وغفلة.

وإليك نصوص المفسرين فى تأييد ما ذهبنا إليه، قال الإمام العلامة أبو حيان فى البحر ما نصه: والظاهر أن الضمير فى: وإنه لعلم للساعة يعود على عيسى عليه السلام إذ الظاهر أنها عائدة عليه ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد: أى وإن خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها إذ خروجه شرط من أشراطها، وهو نزوله من السماء فى آخر الزمان أ هـ، وعلى هذا درج الزمخشرى فى الكشاف ، والإمام الرازى فى التفسير الكبير، ومحيى السنة البغوى فى تفسيره، والخازن ، والجلال المحلى ، وغيرهم . وقال الحافظ ابن كثير ما نصه: قوله سبحانه وتعالى «وإنه لعلم للساعة» تقدم تفسير ابن إسحق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام ، وفى هذا نظر وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصرى وسعيد بن جبير أن الضمير فى وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام

فإن السياق فى ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى «وإنه لعلم» أى أمارة ودليل على وقوع الساعة . قال مجاهد : وإنه لعلم للساعة خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة، وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وأبى العالية وأبى مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكماً مقسطًا أ هـ ، وقال العلامة الآلوسى فى روح المعانى: وإنه - أى عيسى - لعلم للساعة. أى أنه بنزوله شرط من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة الواقعة فى الساعة، والحصر إضافى باعتبار أنه أعظم العلامات، ثم قال: وقد نطقت الأخبار بنزوله عليه السلام وذكر شيئًا منها فأشار بذلك إلى تعين الاحتمال الأول الذى بدأ به ، والواقع أن الآية الكريمة نص فيه وتلك الاحتمالات - وإن كانت جائزة بحسب الأصل - فلا أثر لها هنا أصلا ، إذ ليس كل احتمال يؤثر فى نصوصية اللفظ كما نبهنا عليه قريبا ، وقد اختار الإمام الرازى فى المحصول أن الدليل اللفظى يفيد اليقين إذا انضمت إليه قرينة من مشاهدة أو تواتر . قال التاج السبكى: وهذا هو الحق، وصححه محققو الأصوليين أيضًا. وأنت إذا رأيت الأحاديث المتواترة الناطقة بأن نزول عيسى من أشراط الساعة علمت علم اليقين أن هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى: «وإنه لعلم للساعة» لا سيما وقد عينه فى هذه الآية بخصوصها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأى أثر لاحتمال مظنون مع وجود هذا الدليل القاطع؟ وقد بلغنى أن أزهريا احتج على صاحب الفتيا الذى نرد عليه . بهذه الآية وقال: إنها

نص فى الموضوع ، فمنع ذلك بعض الحاضـرين ممن له منصب كبير فى الأزهر، وأسند منعه بأنه على فرض عود الضمير إلى عـيسى يبقى الاحتمال فيه هل ذلك من حـيث نزوله؟ أو من حـيث ولادته بغيـر أب؟ أو من حـيث إحيـاؤه الموتى؟ فانقطع ذلك الأزهرى ولم يحـر جوابًا، وهذه غفلة شديدة من المسـتدل والمانع، منشأها عدم إحكام قـواعد الأصول، والبعد عن عـلم الحديث الشريف الذى لا غنى للعالم عنه، بل لا يستحق الشـخص أن يسمى عالمًا بدونه، وليت شعرى إذا كان كل احتمال يمنع نصوصية اللفظ كما يتوهمون ، فكيف أجمع علماء الإسلام على القطع بالوجـوب فى نحو قولـه تعالى: ﴿وَأَقِـيمُـوا الصَّـلاةَ وَآتُوا الزَّكَـاةَ﴾ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾. ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ مع أن هذه الأوامر تحـتمل غير الوجـوب فى حد ذاتها وإنما استـفيد القطع بالوجـوب فيهـا من قرائن خـارجة عنهـا، فلتكن الآيات الدالة على نزول عيسى فى القطع بمضمونها كذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

فى ذكر بـعض ما ورد عن الصـحابة والتـابعين من الآثار الدالة على نزول عيـسى عليه السلام. جـاء عن أبى هريرة وابن عبـاس آثار كثيـرة تقدم بعضـها ويأتى، وتركنا باقيـها اختصـارًا ، وأخرج ابن أبى شيـبة عن عبد الله بن عـمرو قال: ينزل عـيسى بن مريم فـإذا رآه الدجال ذاب كـما تذوب الشحـمة، فيـقتل الدجال، ويفرق عنه اليهود فيقتلون حـتى أن الحجر ليقول: يا عبد الله - للمسلم - هذا يهودى فتعـال فاقتله، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسـعود قال: إن المسيح ابن مريم خارج قبل يوم القيامة، وأخرج الحاكم وصححه عن أبى الطفيل - وهو صحابى - قال: كنت بالكوفـة فقيل: قد خرج الدجال ، فأتينا حـذيفة بن أسيد

فقلت: هذا الدجال قد خرج فقال: اجلس فجلست، فنودى: أنها كذبة صباغ، فقال حذيفة: إن الدجال لو خرج زمانكم لرمته الصبيان بالخزف، ولكنه يخرج فى نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكبش، حتى يأتى المدينة. فيغلب على خارجها. ويمنع داخلها. ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذى عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه، حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم. فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا. فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، وروى الترمذى من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعيسى بن مريم عليهما السلام يدفن معه قال أبو مودود: وقد بقى من البيت موضع قبر، قال الترمذى: حديث حسن غريب، ورواه الطبرانى من هذا الطريق أيضًا بلفظ: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، فيكون قبره رابعًا. قال الحافظ الهيثمى: فيه عثمان بن الضحاك، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو داود، وقد ذكر المزى هذا فى ترجمته وعزاه إلي الترمذى، وقال حسن: ولم أجده فى الأطراف أ هـ. قلت: هو موجود فى سنن الترمذى في أوائل أبواب المناقب، وفى أبواب فضل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وعثمان بن الضحاك الذى ضعفه أبو داود هو الحزامى، وهو غير عثمان بن الضحاك المذكور فى هذا السند كما يعلم من تهذيب التهذيب، وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن شهر بن حوشب عن محمد بن على - هو ابن الحنفية - فى قوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته». قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثم يقال له: يا عدو الله. إن عيسى روح الله وكلمته. كذبت على الله

وزعمت أنه الله. إن عيسى لم يمت ، وأنــه رفع إلى السماء ، وهو نازل قبل أن تقوم الساعــة. فلا يبقى يهودى، ولا نصــرانى إلا آمن به. وأخرج ابن المنذر عن شهر بن حوشب قــال: قال لى الحجاج: يا شهر آية من كتــاب الله ما قرأتها إلا اعتــرض فى نفسى منهــا شىء ، قال الله : «وإن من أهل الكتــاب إلا ليؤمنن به قبل مــوته» وإنى أوتى بالأسارى فأضــرب أعناقهم ولا أسمعــهم يقولون شيـئًا. فقلت: رفـعت إليك على غيـر وجهـها إن النصرانى إذا خـرجت روحه ضــربته الملائكة من قبله ومن دبره، وقالوا: أى خـبيث إن المسيح الذى زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة: عبد الله وروحه وكلمته، فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان ، وإن اليهودى إذا خرجت نفســه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره ، وقالوا: ؛ أى خبيث إن المسيح الذى زعمت أنك قتلته عـبد الله وروحه فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان. فإذا كان عند نزول عيسى آمنت به أحيــاؤهم كما آمنت به موتاهم. فقال: من أين أخذتها؟ فقلت: من محمد بن على. قــال: لقد أخذتها من معدنها. قال شهر: وأيم الله ما حدثنيه إلا أم سلمــة، ولكنى أحببت أن أغيظه أ هـ. أى بذكر على ، لأن الحــجاج كان يبـغض عليًا وأولاده رضى اللــه عنهم بغضًــا شديداً. وأخرج نعـيم فى كتاب الفتن عن كـعب الحبر التــابعى الثقة باتفــاق أهل الشأن. قال: يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع. فبينما هو على ذلك إذ سمعوا صوتًا فى الغلس، فيقولون: إن هذا لصوت رجل شبعان ، فينظرون فإذا بعـيسى ابن مريم، وتقام الصلاة فيرجع إمام المسلمين المهدى فيقول عيــسى: تقدم فلك أقيمت الصلاة ، فيصلى بهم تلك الليلة، ثم يكون عيسى إمامًا بعده، وقال ابن أبى شيبة فى المصنف: ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال المهدى من هذه الأمة وهو الذى يؤم عيسى بن مريم عليه السلام.

فصل

في ذكر نصوص فقهاء الأمة وعلماء الإسلام المصرحة بنزول عيسى عليه السلام. جاء في الموطأ ما نصه: ما جاء في صفة عيسى بن مريم والدجال: مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجالة له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالكعبة فسألت : من هذا؟ قيل: هذا المسيح بن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، فسألت: من هذا؟ فقيل لي: هذا المسيح الدجال. قال الإمام الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي في المنتقى أثناء كلامه على هذا الحديث ما نصه: وفي العتبية عن مالك قال: بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فإذا عيسى ابن مريم قد نزل أ هـ ونقله العلامة الأبي أيضًا في شرح مسلم، وقال الإمام الفقيه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ما نصه : ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء أ هـ. **قال الأستاذ الكوثري**: وقد تلقى الطحاوي علوم هؤلاء في الاعتقاد والعمل عن سليمان بن شعيب الكيساني وبكار ابن قتيبة وابن أبي عمران وأبي خازم فالأول عن أبيه عن محمد عن أبي يوسف وأبي حنيفة، والثاني عن هلال بن يحيى عن زفر وأبي يوسف عن أبي حنيفة، والثالث عن ابن سماعة وبشر بن الوليد فالأول عن محمد وأبي يوسف، والثاني عن أبي يوسف والرابع عن عيسى بن أبان عن محمد أ هـ. وروى

ابن أبى يعلى فى الطبقات والخلال وابن الجوزى فى المناقب عن عبدوس بن مالك أبى محمد العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهى ضلالة ، وترك المراء والجدال ، والخصومات فى الدين ، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والسنة تفسر القرآن - وهى دلائل القرآن - وليس فى السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، ولا الأهواء ، وإنما هو الاتباع ، وترك الهوى ، ومن السنة اللازمة التى من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها ، ولا يقال : لم ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان ، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق - يعنى حديث ابن مسعود - ومثل ما كان مثله فى القضاء والقدر ، ومثل أحاديث الرؤية كلها ، وإن نبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع ، فإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد فيها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات ، والقرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ، والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث الصحاح ، وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح[1] رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه على

(١) هذا أحمد يحتج فى العقائد بحديث الآحاد وسيأتى مثل ذلك فى كلام الأشعرى منقولا عن أهل الحديث فتنبه !

ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والكلام فيه بدعة. ولكن نؤمن به على ظاهره، ولا نناظر فيه أحدًا ، والإيمان بالميزان يوم القايمة كما جاء : يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ، وتوزن أعمال العباد كما جاء فى الأثر ، والتصديق به، والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته، وذكر الإيمان بالحوض والشفاعة وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير. ثم قال ما نصه: والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التى جاءت فيه ، والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد . هذا كلام الإمام أحمد رضى الله عنه ، وقال أيضا فى الرسالة التى كتبها إلى مسدد فى بيان سنة النى صلى الله عليه وآله وسلم ما نصه: والدجال خارج فى هذه الأمة لا محالة وينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيقتله بباب لد أ هـ . وانظر بقيتها فى مناقب أحمد لابن الجوزى ، وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعرى فى كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ما نص المراد منه: جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردون من ذلك شيئًا . وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا . وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدى الله تعالى حق، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من

الموحدين من النـار ، على ما جاءت به الروايات عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينكرون الجـدال والمراء فى الدين ، والخصومـة فى القدر ، والمناظرة فـيما يتناظـر فيه أهل الجـدل ويتنازعون فـيه من دينهم ، بالتـسليم للروايات الصحيحة ، ولما جـاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حـتي ينتهى ذلك إلـى رسول الله صلى الله علـيه وآله وسلم، ولا يقـولون كيف؟ ولا . لم؟ لأن ذلك بدعة ، ويعرفـون حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلـم ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ويرون أن اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يتبعوا فى دينهم ما لم يأذن الله به، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعـد ذلك يرون الدعاء لأئمـة المسلمين بالصـلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسـيف وأن لا يقاتلوا فى الفـتنة، ويصدقون بخـروج الدجال، وأن عيـسى بن مريم عليه الصـلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكيـر والمعراج وأن الدعاء لموتى المسلمين والصـدقة عنهم بعد موتهم تصل إلـيهم ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصـهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقـرآن ، ويدينون بعـبـادة الله فى العـابدين، والنصـيحـة لجـماعـة المسلمين، واجـتناب الكبائر، ويرون مـجانبـة كل داع إلي بدعة، والتـشاغل بقراءة القرآن ، وكـتابة الآثار، والنظر فى الفقه ، مع التـواضع والاستكانة ، وحـسن الخلق ، وبذل المعـروف، وكف الأذى ، وترك الغـيبـة والنمـيمـة، والسعـاية ، وتفقد المآكل والمشـارب، فهذه جملة مـا يأمرون به ويستـعملونه

ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب . انتهى ما أردنا نقله من كلام الأشعرى بـلفظه ، وقد نقله بتمامه ابن القيم فى أول كـتابه «حادى الأرواح إلي بلاد الأفراح» مستشـهدًا به لما ذكره من إجماع أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان اليـوم، وقال عقبه ما نصه: وسـقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسـا على معرفة م يستحق البشـارة المذكورة - يعنى البشارة بالجنة ورضوان الله - وأن أهل هذه المقالة - يعنى العقيدة - هم أهلها أ هـ . وقال الحافظ أبو الحسين الآبرى فى مناقب الشافعى فى الكلام على إبطال حديث لا مهـدى إلا عيسى بن مـريم ، وإثبات أن المهـدى غير عـيسى ما نصـه: وقد تواترت الأخبار واسـتفاضت بكثرة رواتهـا عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى المهدى أنه من أهل بيته ، وأنه يملأ الأرض عدلا ، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفـه فى طول من قصتـه وأمره أ هـ نقله الإمـام القـرطبى فى التذكـرة ، والحافظ ابن حـجر فى الفـتح، وسلماه ولما ذكـر الإمام الحافـظ ابن حزم فى مسائل التوحـيد من كتاب «المحلى» أن شريعة الإسلام ناسـخة لسائر الشرائع وأن نبينا خاتم النبيين - لا نبى بعده - قال مـا نصه: مسألة إلا أن عيسى بن مريم سينزل واسـتدل بحديث جابر أسنده من طريق مسلم ، وقـال فى كتاب الأطعمة من المحلى أيضًا فى الكلام على حـرمة الخنزير وجواز قتله - بعد أن ذكر حـديثى أبى هريرة وجابر فى نزول عـيسى - ما نصـه : فصح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صوب قتل عيـسى عليه السلام للخنازير وأخبر أنه بحكم الإسلام ينزل وبه ويحكم أ هـ. وقال القاضى عـياض فى شرح مسلم ما نصه : نزول عـيسى عليه السلام وقتله الدجـال حق ، وصحيح عند أهل السنـة. للأحـاديث الصحيـحـة فـى ذلك، وليـس فى العـقل ولا فى الشرع

ما يبطله، فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلـة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: «وخاتم النبيين» وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا نبى بعدى» ، وبإجماع المسلمين أنه لا نبى بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن شريعتـه مؤبدة إلى يوم القيامة. لا تنسخ ، وهذا اتسدلال فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيـسي عليه السلام أنه ينزل نبيًا بشرع ينسخ شرعنا، ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غـيرها شيد من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق فى كـتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطًا بحكم شرعنا ويحيى من أمـور شرعنا ما هجره الناس أ هـ نقله الإمام النووى فى شرح مسلم ووافقه عليه، وقد ورد عن المغيرة ابن شعبة فى الجمع بين أحاديث النزول وآية خـاتم النبيين غيـر ما سلكه هؤلاء المبتدعـة . فروى الطبرانى من طريق مجـالد بن سعيد عن الشعبى قال: قـال رجل عند المغيرة بن شعبـة: صلى الله على محمد خـاتم الأنبياء لا نبى بعده. فقـال المغيرة: حسبك أن تقول خاتم الأنبياء، فإنا كنا نحدث أن عيسى بن مريم خارج، فإن كان خارجًا فـقد كان قبله وبعده وهذا الأثر ضـعيف الإسناد لا يصح ، وقد كان المغيـرة ذكيًا بالغًا حد الدهاء فـلا يخفى عليه أن نزول عيسـى تابعًا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعاملا بشريعـته لا ينافى حديث لا نبى بعدى كما مر فى كـلام عياض آنفًـا والقاديانيـة ينسبون الأثر المذكـور إلي عائشـة كذبًا عليها، ويحذفـون منه خروج عيسى عليه السلام ليـتسنى لهم أن يقولوا : إن قوله تعالـى : وخاتم النبيين - بفتح التـاء - لا يدل على انقطاع النبوة ناسين قراءة خاتم - بكسر التاء - وهى تعين الآخرية كما لا يخفى.

وقال الشهـرستانى فى الملل والنحل فى الكلام على اخـتلاف النصارى فى عيسى عليـه السلام ما نصه: ولهم فى النزول خـلاف. فمنهم من يقول:

ينزل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام أ هـ. وقال الإمام القرطبى فى شرح مسلم -- وهو شيخ القرطبى صاحب التفسير والتذكرة - فى الكلام على حديث جبريل الطويل عند قوله فأخبرنى عن أماراتها ما نصه: وهى - أى أمارات الساعة - تنقسم إلى معتاد كالمذكورات وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر، وغير معتاد كالدجال ، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها أ هـ. نقله العلامة الأبى. وقال عقبة ما نصه: قال ابن رشد - يعنى الجد - واتفقوا على أنه لابد من ظهور هذه الخمسة - يعنى الدجال وما بعده - واختلفوا فى خمسة أخرى : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدخان ونار تخرج من قعر عدن تروح معهم حيث راحوا ، وتقيل معهم حيث قالوا زاد بعضهم وفتح قسطنطينية، وظهور المهدى أ هـ. ونقل الأبى أيضًا فى شرح مسلم عن ابن رشد ما نصه : وفى العتبية كان أبو هريرة يلقى الفتى الشاب فيقول يا ابن أخى: إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فأقرأه منى السلام تحقيقًا لنزوله فما ذكر ابن حزم من الخلاف فى نزوله لا يصح ، وذكر الباجى حديثًا ضعيف السند أنه ينزل فى عاشرة السبعين وتسعمائة ثم قال الأبى: ابن العربى، ويروى أنه يتزوج امرأة من بنى ضبة اسمها : راضية، ثم يموت ويصلى المسلمون عليه ، ويدفن فى روضة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها موضع قبر يقال: إنما بقى له ، وذكر ابن العربى الحاتمى المتأخر أن هذه المرأة ولدت فى عاشرة السبعين ، وولادة المرأة كذبها الوجود المحقق : أن نزوله من الأشراط ، وصح أنه الذى يقتل الدجال وبدعائه يهلك يأجوج ومأجوج. **فإن قلت**: بم يعرف الناس أنه عيسى؟ قلت: بصفاته التى تضمنتها الأحاديث - أى من كونه ينزل من السماء عليه ممصرتان واضعًا يديه

على أجنحة ملكين الخ ما تقدم - ويصح أن يعرف بأن يتحدى على ذلك لا بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، لأن تلك آيات إرساله، وهو لا ينزل رسولا لأهل الأرض ، ابن العربى: يروى أنه يصلى وراء إمام المسلمين إبقاءًا لشريعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، واتباعًا له، وإخزاءًا للنصارى، وإقامة للحجة عليهم أ هـ ما أردنا نقله من شرح الإمام الأبى.

وقال الإمام ابن عطية فى تفسيره ما نصه: وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حى، وأنه ينزل فى آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب ، ويقتل الدجال ، ويفيض العدل، وتظهر به ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويحج البيت ويعتمر أ هـ نقله العلامة أبو حيان فى البحر المحيط ، وقال الحافظ أبو الفتح اليعمرى المعروف بابن سيد الناس فى عيون الأثر فى الكلام على خبر إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه - بعد أن ذكر أن سلمان اجتمع فى الشام برجل يجتاز من غيضة إلى غيضة، مرة فى السنة ، يعترضه فى تلك المرة ذوو الأسقام ليدعو لهم فيشفون ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمان عن هذا الرجل: إنه عيسى ابن مريم - ما نصه : قال السهيلى وإن صح الحديث فلا نكارة فى متنه، فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعدما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب تبكيان ، فكلمهما وأخبرهما أنه لم يقتل ، وأن الله رفعه وأرسله إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد . وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارًا ولكن لا يعلم به أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح أ هـ. وقال الحافظ السيوطى فى علم العقائد من كتاب النقاية ما نصه: ونعتقد أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال حق أهـ .

ثم استدل في شرحه إتمام الدراية ببعض الأحاديث الواردة في ذلك ، وقال العلامة السفاريني الحنبلي في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية :

وما أتى في النص من أشراط   فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح   محمد المهدى والمسيح

وقال في شرحها المسمى لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ما نصه: قد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت نبوته قائمة به، وهو متصف بها أ هـ . وقال الشوكاني في كتاب التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح: إن الأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة. منها تسعة وعشرون حديثًا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر ، ومنها ما هو مذكور في أحاديث الدجال، ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر ، وتنضم إلى ذلك أيضا الآثار الواردة عن الصحابة، . فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك أ هـ ، ثم ذكرها كلها ، وقال ما نصه: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع أ هـ . ونحوه في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة للقنوجى، وقال أستاذنا العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر ما نصه: وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة أ هـ. ثم ذكر كلام ابن رشد والشوكاني وغيرهما في التصريح بالتواتر، وممن نص علي نزول عيسى عليه السلام من العلماء: الحافظ عبد الغنى المقدسي في كتاب أشراط الساعة، والحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق، والحافظ بن كثير في

تاريخه، والتقى السبكى فى كتاب التعظيم والمنة ، والدميرى فى حياة الحيوان، وابن حجر الهيتمى فى فتاويه الحديثية والفقهية، والبرزنجى فى الإشاعة لأشراط الساعة ، وابن الحاج فى حاشية المرشد المعين، ناقلا فيه الاتفاق ، والكشميرى فى إكفار الملحدين، والعلامة عبد الحى اللكنوى فى مقدمة الفوائد البهية ، وهو مجمع عليه كما تقدم فى كلام غير واحد . والخلاف الذى أشار إليه ابن حزم فى مرتب الإجماع ، إنما هو خلاف بعض المعتزلة والجهمية كما يستفاد من كلام عياض السابق، وهو خلاف ساقط،و لأنه حدث بعد انعقاد إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم وأهل السنة والحديث ، فلهذا لم يعتد العلماء به وحكوا الإجماع ، وقال ابن رشد فيما نقلناه عنه : إن الخلاف الذى ذكره ابن حزم لا يصح - أى لا يعتبر به ولا يؤبه له - فلا راحة لصاحب الفتوى فى هذا الخلاف ولا عذر له فى اتباعه ، وهو ملزم - إن أخذ به والتزمه - أن يكشف للناس عن دخيلة أمره ، ويبين لهم أنه جهمى حتى يعلم المسلمون أنه من أتباع جهم بن صفوان الضال المبتدع الذى يقول عنه الذهبى : ما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًا عظيمًا أ هـ . فهنيئًا لمن يكون من أتباع هذا الإمام .

فصل

واعلم أن من أنكر نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة فهو كافر كما فى كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام للحافظ السيوطى لأنه أنكر ما تواتر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنكر المتواتر كافر كما صرح به ابن دقيق العيد وابن حجر الهيثمى وأبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج وغيرهم بل هو مقرر فى كتب الأصول، وبهذا فارق المتواتر خبر الآحاد ،

وقد ورد فى المسئلة حديث مرفوع أحببنا أن نورده لننبه عليه أخرج الكلاباذى فى معانى الأخبار عن محمد بن الحسن ابن على عن محمد بن على بن الحسن عن الحسين بن محمد بن أحمد عن إسماعيل بن أبى أويس عن مالك عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعًا: من أنكر خروج المهدى فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر بما أنزل على محمد ، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر بما أنزل على محمد ، فإن جبريل أخبرنى أن الله قال: «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربًا غيرى» . محمد بن الحسن بن على قال الحافظ : أظنه ابن راشد الأنصارى ، قال: وشيخه ما عرفته بعد البحث عنه أ هـ قلت: وابن راشد ذكره الذهبى وقال: روى عن وراق الحميدى فذكر خبرًا موضوعًا فى الدعاء عند الملتزم هذا كلام الذهبى، والحديث الذى ذكرناه باطل من حديث مالك، وليس له إسناد يثبت لا من حديث مالك ولا من حديث غيره[1] ، وآفته ابن راشد أو شيخه، وفيما تقرر فى كتب الأصول كفاية عنه وغناء والله أعلم. فإن قيل قد أنكر المعتزلة بعض السمعيات المتواترة، ومع ذلك فالراجح عند أهل السنة عدم إكفارهم. فكيف يصح إكفار منكر نزول عيسى عليه السلام؟ **فالجواب** : أن إنكار المتواتر كفر كما هو مقرر فى الأصول غير أن ابن تيمية قيد ذلك في بعض رسائله بأن يكون الإنكار بعد العلم بالتواتر لقيام الحجة حينئذ، وقال ابن الحاج فى حاشية المرشد المعين: إن المتواتر غير المعلوم من الدين بالضرورة لا يكفر منكره إلا بعناد بعد التعليم أ هـ ، والمعتزلة الذين أنكروا تلك المتواترات لم يكونوا يعرفون تواترها لأنهم جاهلون بالحديث الشريف ، ما رووا منه

(١) وهو حديث موضوع .

شيئًا ولا عرفوه ، فكان جهلهم عذرًا حائلاً دون إكفارهم ، على أن أهل السنة اتفقوا علي تضليلهم ، لإقدامهم على مخالفة الله ورسوله بشبه فاسدة باطلة اعتقدوها أصولا صحيحة ثابتة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب فى مناقشة ألفاظ الفتوى

وهى منشورة في مجلة الرسالة، ويلاحظ أولا أن السؤال المنشور فى صدر الفتوى سأل صاحبه عن نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة فى عيسى عليه السلام هل هو حى؟ أو ميت؟ . . . إلخ ، والسائل - رغم كونه قاديانيا لا يؤمن بالسنة - طلبها فى سؤاله سترًا لموقفه وإتمامًا لحيلته. لكن صاحب الفتوى لم يحسب للسنة النبوية حسابًا ، ولم يتعرض لها فى فتواه إلا رادًا ومنكرًا ، وقصر كلامه فى عيسى عليه السلام على ثلاث آيات من القرآن فى ثلاث سور منه بانيًا على ذلك ما اشتهاه من إنكار نزول عيسى وحياته ورفعه، فأخطأ من عدة وجوه (أحدها) أنه لم يوف السؤال حقه، وذلك بعدم تعرضه للسنة. (ثانيها) أنه ترك آيات من القرآن تعرضت لحياة عيسى ونزوله وغض نظره عنها لأنها تخالف شهوته. (ثالثها) أنه أقدم على تفسير ما أورده من الآيات من غير أن يكون عنده علم بما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها مما يخالف ما قال. مع أنه لا خلاف بين العلماء أن أول ما يجب على المتكلم فى تفسير القرآن أن ينظر هل ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أصحابه شيء؟ فإن ورد لم يعدل عنه إلى غيره، لأنه عليه الصلاة والسلام مبلغ عن الله، ومبين لمراده ، وأصحابه شاهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه وعلموا معانيه بالقرائن والمشاهدة ، وصاحب الفتوى - وإن لم يكن من أهل الحديث - ففرض عليه أن يرجع إلى كتب أهل الفن : كتفسير

ابن جرير، وابن كثير ، والقرطبى، وكالصحيحين ، وشروحهما فإن الله تعالى يقول: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾. (رابعها) أنه تجرأ جرأة عظيمة حيث أعرض عن السنة النبوية إعراضًا تامًا ولم يذكرها إلا عند ذكر الطرف المقابل الذى لم يرتض هو قوله، وهذا مسلك لا يشرف المسلم، لأنه مخالفة صريحة لما اتفقت عليه أدلة النقل والعقل، من وجوب طاعة رسول الله ، واتباع كلامه، لأن الله فرض ذلك ، وجعل رسوله حجة على عباده، والآيات كثيرة فى إيجاب طاعة الرسول، والإخبار بأن طاعته طاعة لله من غير قيد ولا شرط ، وقد روى أبو داود والبيهقى وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلى وغيره، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلال استحللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**» إسناده صحيح، وروى أبو داود وغيره من حديث أبى رافع نحوه. قال البيهقى: وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه، فوجد تصديقه فيما بعده ، وروى أبو يعلى وغيره عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عسى أن يكذبنى رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله هذا ، دع هذا وهات ما فى القرآن**» وكأن هذا الحديث ما ورد إلا ليخبر عن هذه الفتوى الخاطئة التى تمسك صاحبها بالقرآن فى زعمه، وعطف على السنة بالرد والإبطال، سالكا فى ذلك سبيل الحيل من دعوى الأحادية والاضطراب والتعارض، . . . إلخ والله يعلم ما يخفى وراء ذلك ومحاسبه عليه، وقد قال مكحول والأوزاعى

وغيرهما: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، وقال يحيى بن أبى كثير : السنة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب قاضيًا على السنة. قال ابن عبد البر: إنها تقضى عليه وتبين المراد منه أ هـ. ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول: خذوا أهل الأهواء بالسنن فإن القرآن ذو وجوه والآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم أكثر من أن تحصى ، ومن أراد أن يلم بشىء منها فليقرأ كتاب الرسالة للإمام الشافعى وجامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر ، ومفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للحافظ السيوطى، وقد لخص فيه كلام من سبقه فأفاد وأجاد . وإنما ذكرنا هذه النصوص مع كون معناها بدهيًا لكل مسلم لأننا رأينا صاحب الفتوى لا يبالى بالحديث فى كتبه ومقالاته فلا يستدل فيها إلا بالقرآن فقط حاملا لآياته على الغرض الذى يشتهيه محملا لها إياه إن لم تحتمله - أما السنة النبوية فلا يعرض لها إلا رادًا بالتضعيف ، أو منكرًا بالتأويل أما أن يستدل بها كالقرآن فشىء لم نره فى كتبه ، ولا خطر على باله. فيما أحسب . اللهم إلا أن يكون الحديث فى شىء من الأخلاق والآداب وما إليها فيذكره حينئذ، ولا يبالى أضعيف هو أم موضوع . كأن الله وكل إليه أن يفسر القرآن بما شاء حين يشاء، وأباح له أن يستدل بالسنة متى شاء فى المعنى الذى يشاء ، وبعد هذا ننتقل إلى الفتوى فنجد صاحبها يدعى أن القرآن الكريم عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور أ هـ . ونهاية شأن عيسى مع قومه هى التكأة التى بنى عليها صاحب الفتوى ما أراده ، فهو يريد بها أن عيسى عليه السلام له مع قومه بدء ونهاية كسائر الرسل، وقد عرض الله لنهايته مع قومه، كما عرض لنهاية الرسل مع أقوامهم، وإذًا فلا حياة له ولا رفع ولا نزول هذا مرمى كلامه كشفنا عنه وأوضحناه، لكن فاته أن الذى أنزل عليه

القرآن هو الذى أخبر بالحياة والرفع والنزول ، كما أخبر بها منزل القرآن أيضًا، وفاته أن نهاية شأن عيسى مع قومه لا تحظر على الله أن يفعل ما هو جائز عليه من رفع عيسى حيًا وإنزاله فى آخر الزمان ، كما لم يحظر اعتياد ولادة الطفل من أبوين أن يخلق الله عيسى من غير أب ، وربك على كل شىء قدير، وقد قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾. فالتشبث بالسنن الكونية والحكم بها على خالقها قصور فى العقل ، ونقص فى الإدراك ، وضلال فى حكم الشرع. ثم ذكر صاحب الفتوى قول الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وادعى أن كلمة توفى وردت في القرآن كثيرًا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر أ هـ . ونهاية ما ادعاه - بعد تسليمه - يقتضى أن يكون التوفى ظاهرًا فى الموت ومما تقرر فى الأصول وصار معروفًا لصغار الطلبة بله كبارهم أن اللفظ يصرف عن ظاهره لدليل . فالتوفى يجب صرفه عن الموت للنصوص الصريحة الدالة على حياة عيسى ونزوله ، وبهذا يحصل الجمع بين الأدلة، ثم ذكر الآيات التى استعمل فيها التوفى بمعنى الموت حتى صار هو المعنى الغالب المتبادر فذكر قوله تعالى : ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**﴾ ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ**﴾ ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾. ﴿**وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى**﴾. ﴿**حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ**﴾ ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ أ هـ وأقول غفل عن أن هذه الآيات التى أوردها قد ذكر بجانبها ما يصرفها إلى الموت، ولولا ذلك لصرفت إلى معنى آخر من معانى التوفى المتواطئة فالآية الأولى ذكر فيها ملك

الموت صريحًا ، والآية الثانية والثالثة ذكر فيهما الملائكة الذين يحضرون الميت لتبشيره أو تخويفه ، ويسمون أعوان ملك الموت، والآية الرابعة حذف صاحب الفتوى أولها لحاجة فى نفسه ، ونحن نذكرها قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** ﴾ فقد ذكر فيها الموت صريحًا أيضًا كالآية السادسة ، والآية الخامسة حذف منها أيضًا قرينة الموت وأصلها هكذا ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ فذكر التوفى من قبل بلوغ الأشد والشيخوخة، قرينة ظاهرة على أن المراد به الموت ، والآية السابعة قرينتها أنها دعاء ، لأن من المعلوم لكل واحد أن الإنسان يدعو أن يموت علي الإسلام، إذ العبرة بالخاتمة كما جاء فى الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالخواتيم» وهكذا لا تجد فى القرآن آية ذكر فيها التوفى مرادًا به الموت إلا وتجد فيها قرينة تدل على ذلك.

وتحقيق المسئلة علي وجه الإيجاز : أن مادة التوفى موضوعه فى اللغة لمعنى واحد: هو قبض الشىء واستيفاؤه، وهذا المعنى قدر مشترك بين قبض الروح بالنوم، أو الموت ، وقبض الدين ، وقبض الأجر على عمل ما، وغير ذلك من المعانى التى يطلق عليها لفظ التوفى، فهو من قبيل المشترك المعنوى، والقاعدة فيه : أنه إذا أريد فرد معين من أفراده قيد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد ، وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم فإنه تارة أراد بالتوفى خصوص الموت فقيد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كالآيات السابقة، وتارة أراد خصوص النوم فقيده أيضًا كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ ، الآية، وقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾ الآية، وتارة أراد الأجر والجزاء كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ تُوَفَّىٰ**

كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ، فإذا جاء اللفظ مجردًا عن القرينة لم يجز أن يدعى أن هذا المعنى أظهر فيه من ذاك بل يحمل على أصل المعنى الذى هو القدر المشترك ويترك ما عداه إلى أن يقوم على تعيينه دليل ، وبهذا البيان الوجيز ينهار ما ادعاه صاحب الفتوى فى آيتى آل عمران والمائدة ويتضح أنه غلط ليس له من التحقيق العلمى نصيب، والعجب العجاب فى شأن هذا المفتى أن نجده يظهر بمظهر الحريص على التمسك بظاهر القرآن حيث يقول : ومن حق كلمة توفيتنى فى الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد أ هـ ، ثم نجده فى كلمة له فى الشيطان يقول: إنه قوة الشر الكامنة فى النفس - أي أنه عرض - مخالفًا صريح القرآن والسنة فى أن الشيطان كائن حى يتكلم ويوسوس ويجىء ويذهب إلى آخر أوصاف الأجسام الحية!!! فالذى يتمسك بظاهر القرآن فى وفاة عيسى كيف يتأتى منه أن ينكر صريح القرآن والسنة فى جسمية الشيطان ؟!! ما هذا إلا تناقض قبيح ، وتلاعب بالنصوص ، منشأه الهوى والغرض ، ثم ادعاؤه أن الإماتة العادية يدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد ، فيه تعريض بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين الذين حملوا التوفى على قبض البدن حيًا جمعًا بين الأدلة ، كما هو الواجب فهؤلاء كلهم لم يكونوا ينطقون بالضاد ولم يكونوا يعرفون السياق حتى جاء هو بعد منتصف القرن الرابع عشر، فنطق ما لم ينطقوه ، وعرف ما لم يعرفوه ، فسبحان الفتاح العليم !!! ثم ادعى أنه لا سبيل إلى القول بأن الوفاة مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على

زعم من يرى أنه حى فى السماء وأنه سينزل منها آخر الزمان أ هـ. **وأقول** : هذا أحد الأدلة من كلامه على أنه لا يحترم السنة ولا يقيم لها وزنًا ، وإن ادعى خلاف ذلك بلسانه . لأن الآلوسى نقل عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ قال: هذا من المقدم والمؤخر - أى رافعك إلى ومتوفيك - ثم قال الآلوسى: وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به فى الآية الأخرى - يعنى بل رفعه الله إليه - وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» أ هـ. وصاحب الفتوى رأى هذا فى تفسير الآلوسى، ومنه نقل قول قتادة بالمعنى، فماذا فعل؟ عمد إلى آية سورة النساء الصريحة كما قال الآلوسى فأولها، لتوافق ظاهر آية سورة آل عمران - مخالفًا ما أجمع عليه أهل الأصول أن الصريح لا يقبل التأويل وأن الظاهر هو الذى يؤول ليوافق الصريح - وسكت عن الحديث فلم يعره أذنًا صاغية ، بل سماه فيما بعد قصصًا وروايات مضطربة لم يقم على الظن بها فضلا عن اليقين برهان، ولا شبه برهان ! فبرهن على أنه يحترم الحديث النبوى احترامًا يتلاقى من بعض الوجوه مع احترام القاديانية له أيضًا !! فليعذرنا القراء إذا اشتددنا عليه فى الكلام ، وتلونا عليه بعض ما يعرفه قدر سنة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبعد هذا قد اتفق العلماء - إلا وهب بن منبه الكتابى! وابن حزم الظاهرى![1] - على أن قول الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ مصروف عن الموت الحقيقى، ثم اختلفوا فقيل: معنى متوفيك قابضك ، ومستوفى شخصك من الأرض ، وقيل : معناه منيمك ورافعك

---

(١) وقد قالا بنزوله أيضًا ، وإنما خالفا فى رفعه حيًا .

نائمًا رفقًا بك ، وقيل: جاعلك كالمتوفى لأنه بالرفع يشبهه، وقيل : آخذك وافيًا بروحك وبدنك، فهو فى معنى رافعك، والعطف حينئذ للتفسير ، وقيل: مميت قواك الشهوانية العائقة عن إيصالك بالملكوت ، وقيل: غير ذلك مما حكاه الآلوسى، ثم قال عقبه ما نصبه : والصحيح كما قاله القرطبى أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم ، وهو اختيار الطبرى ، والرواية الصحيحة عن ابن عباس ، وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات. ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى، ولهم فى هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود، ويزعمون أنه فى الإنجيل ، وحاشا لله ما هو إلا افتراء وبهتان عظيم أ هـ. وهذا على القول بأن الآية لا تقديم فيها ولا تأخير. فإن قيل بذلك، وهو قول قتادة كما تقدم، فالتوفى معناه الموت، ويكون ذلك بعد نزوله كما هو ظاهر، وإنما صرف العلماء التوفى عن معنى الموت لوجود الأدلة الدالة على حياة عيسى عليه السلام، وأنه رفع إلى السماء حيًا . فمن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ، وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لليهود : «**إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**»، وقد ذكرناه من مرسل الحسن، وهو مؤيد بأحاديث وآثار ، وقد ثبت فى الصحيح عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى فى ليلة عيسى بن مريم يطوف بالبيت، وثبت فى حديث الإسراء أنهما اجتمعا فى بيت المقدس، وفى السماء الثانية، ولذا عده أهل الحديث صحابيًا. قال الحافظ الذهبى فى التجريد: عيسى بن مريم نبى وصحابى ، فإنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو آخر الصحابة موتًا أ هـ. وكذا قال الحافظ العراقى فى نكته على ابن الصلاح ، والحافظ

ابن حجر فى الإصابة، والحافظ السيوطى فى التدريب وفى الإعلام بحكم عيسى عليه السلام، والصحابى عند المحدثين والأصوليين هو من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو اجتمع به فى اليقظة لا فى المنام ، وفى الحياة لا بعد الممات ، وحيث إن عيسى صحابى فهو أفضل من الخلفاء الأربعة بلا شك، وقد ألغز فيه التاج ابن السبكى بقوله:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من ... خير الصحاب أبى بكر ومن عمر؟

ومن على ومن عثمان وهو فتى ... من أمة المصطفى المختار من مضر؟

قال العلامة أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج فى حاشية المرشد وجوابه:

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى ... نبينا المصطفى فى أحسن الصور

فوق السموات ليلا عندما اجتمعا ... كذاك عند ظراب البيت والحجر

ومنها قوله تعالى: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ ، وهذه الآية نص فى حياة عيسى ورفعه لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصلب، ثم عطف ببل مثبتًا له الرفع ، والمقرر فى كتب اللغة العربية التى نزل بها القرآن العظيم أن بل إذا تلت نفيًا أو نهيًا كانت حرف إضراب واستدراك ، تقرر حكم ما قبلها ، وتثبت نقيضه لما بعدها وقد ذكر أهل المعانى العطف ببل وبلا من طرق القصر، وقالوا : إنه أقوى طرقه للتصريح فيه بالنفى والإثبات. فكلمة بل فى الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من قتل عيسى ، وتثبت نقيض ذلك، وهو حياته ورفعه ، هذا هو ما تفيده الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة . وهو الذى يفهمه كل عربى

فصيح، بذوقه السليم الصحيح ، أما حمل الآية على تقدير الإماتة العادية بأن يقال : بل أماته الله ورفعه إليه ، كما فعل صاحب الفتوى والقاديانية فمن سقط الكلام الذى يجب أن ينزه عنه القرآن العظيم، لأن الإماتة العادية تتفق مع القتل فى الغاية، وهى إزهاق الروح كما قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

فلا تكون الإماتة نقيضًا للقتل إلا من حيث الصورة، والقرآن أدق من أن يقصد الصور الظاهرية، وأجل من أن يحمل عليها . هذا مع ما يلزم على ذلك التقدير من المفاسد «أحدها» التجرؤ على تأويل الآية رغم صراحتها. وهذا شىء لم نعهده من أحد من أهل الإسلام، حتى جاء القاديانية ، فزلوا وضلوا، حيث جعلوا عقيدتهم الفاسدة أصلا يؤول ما خالفها نصًا كان أو ظاهرًا . «وثانيها» تأويل الرفع وصرفه عن الحقيقة إلى المجاز من غير وجود قرينة تدل على ذلك . «ثالثها» عدم وجود فائدة لذكر الرفع لأنه إما أن يراد به رفع الروح أو رفع المكانة وكلاهما عديم الفائدة، لأن كل ميت ترفع روحه إلى بارئها ، مقتولا كان أو غير مقتول، والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عند الله، فلا تظهر فائدة لتخصيص عيسى برفع روحه أو مكانته لا سيما وفى الرسل من هو أفضل منه ، ومن أوذى أكثر من إذايته كإبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فإنهما أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام، وأوذيا من قومهما أبلغ إذايه ولم ينص على رفع روحهما أو مكانتهما ، وقد كانا أولى بالتنصيص على ذلك. «رابعها» أن الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع وجعله مبطلا لما ادعاه اليهود من القتل والصلب، ولو كان معناه ما ذكر لم يكن مبطلا لدعوى اليهود ، بل متفق معها لأن رفع

مكانة الرسول أو رفع روحه بعد موته لا ينافى وقوع الإذاية له من قومه بقتل أو غيره، بل ذلك يزيد فى رفعته عند الله ، ولذا تجد تواريخ الرسل حافلة بما لاقوه من أنواع الإذايات التى يشيب لها الوليد من قتل وغيره. وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتد به إيذاء قومه يقول : «رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر». «خامسها» أن رفع المكانة لا يستلزم الموت كما هو ظاهر، وكذلك رفع الروح ، لأن النائم ترفع روحه وتسبح فى عالم المثال، وحينئذ فقد كان يجب التصريح فى الآية بذكر الموت بأن يقال بل أماته الله ، ولا يقتصر على الرفع الذى لا يستلزمه ، ولا يدل عليه «سادسها» أن الله تعالى مدح نفسه بقوله: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا**﴾ ولو كان فى الآية إماتة عادية كما يزعم صاحب الفتوى لم يكن للمدح معنى لأن ذلك أمر عادى مطرد فى جميع المخلوقات ، ولأننا ما رأينا الله تعالى مدح نفسه على إماتة نبى أو رسول، كيف والموت مصيبة بشهادة القرآن؟ قال تعالى: ﴿**إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ وإنما رأيناه يمتدح بإهلاك الظلمة الكفرة انتقامًا لأنبيائه ورسله ، وما صح الامتداح بالإهلاك إلا لما انطوى عليه من الخوارق الدالة على كما قدرته وشدة انتقامه. «سابعها» أن حمل الرفع على رفع المكانة أو الروح مخالف لما أطبق عليه علماء التفسير من الصحابة وغيرهم فإنهم فسروه بالرفع الحقيقى الذى هو نقله الجسم من عالم الأرض إلى عالم السماء، وقالوا: إن عيسى أعطى استعدادًا لذلك وقطعت عنه علائق الشهوة، وعوائق المادة ، وليس فى ذلك ما يحيله العقل، ولا ما يصادمه العلم، بل نجد فى تطورات هذا الزمن ومخترعاته ما يؤيد ذلك ويقربه إلى العقول المريضة المحصورة فى دائرة ضيقة من التفكير، فلا يتسع أفقها للتصديق بما غاب عنها، ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه ، وفى

مـثل هؤلاء يقول الله تعـالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ وقد أخرج ابن أبى شيبـة وابن جرير والنسائى وابن أبى حاتم بإسناد صحيح على شرط مسلم عن ابن عـباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خـرج على أصحابه وفى البيت إثنا عشـر رجلاً منهم من الحواريين، فخرج عليهم من عين فى البيت ورأسـه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بى إثنى عشر مـرة، بعد أن آمن بى، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهـى فيقتل مكانى فيـكون معى فى درجتى، فـقام شـاب من أحدثهم سنًا. فـقال له: اجلس، ثم أعاد عليـهم، فقام الشاب فـقال: اجلس، ثم أعاد عليهـم فقام الشاب، فـقال: أنا. فقـال: أنت هو ذاك، فألقى عليـه شبه عـيسى، ورفع عيسى من روزنة فـى البيت - يعنى كوة - إلى السمـاء، قال: وجاء الطلب من اليهود فـأخذوا الشبه فقـتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضـهم اثنى عشر مرة، بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، وذكر بقية الأثر. قال ابن كثير فى تاريخه: وهكذا قال غير واحـد من السلف، وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن كعب قال: لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: «إنى مـتوفيك ورافعك إلى»، وإنى سـأبعثك على الأعور الدجال فـتقتله، ثم تعـيش بعد ذلك أربعًـا وعشرين سنة، ثم أمـيتك ميـتة الحى. قـال كعب: وذلك تصـديق حديث رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم حيث قال: «كيف تهلك أمة أنا فى أولهـا وعيسى فى آخرها». وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحـسن فى قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾. قال: رفـعه الله إليـه فهو عنده في السـماء، وتقـدم في حديث أبى هريرة وحديث ابن عباس عن النبى صلي الله عليه وآله وسلم أن عيسى ينزل

من السمـاء، وتقدم فى حـديث ابن مسـعود أن النبى صلى الله علـيه وآله وسلم اجتمع بعيسى فى السماء وأخـبر أنه نازل ليقتل الدجال، وتقدمت آثار بهذا المعنى ، وتقدم قـول ابن عطية: أجمعت الأمة على مـا تضمنه الحديث المتواتر من أن عـيسى فى السـماء حى. فـهذا إجمـاع يضاف إلي مـا سبق. فيكون رفع عيسى حيًا ثابتًـا بالكتاب والسنة والإجماع، ووهب بن منبه قال: إن عيـسى مات ثلاث ساعـات ، رفع خلالها إلـى السماء، ثم رجـعت إليه الحياة فلا يعد مخالفًا للإجمـاع، وابن حزم قال بموت عيسى ورفعه وقرنًا مع لفظ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فلم يخالف فى الـرفع ، وإنما خالف فى الحيـاة لجموده على ظاهر اللفظ كـما هو شأن الظاهرية ، ولم نجـد عن أحد غير هذين القول بموت عيسى أو عدم رفعه بسند صحيح يعتمد عليه ، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معناه قابـضك من الدنيا ببدنك وروحك حيًـا كما تقدم عن ابن عبـاس وغيره، وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قرينة على ذلك إذ لم نجد فى القرآن موتًا ذكـر بجانبه الرفع أصلا، لأن الميت يدفن فى الأرض ولا يرفع إلى السـماء، كمـا قال الله فى شـأن الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ، وكذلك قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه فلما قبضتنى بالرفع إلى السماء كما قال أبو حيان وغيره من أئمـة اللغة والتـفسيـر، وأما قـوله تعـالى، حكاية عن عـيسى أيضًـا: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فليس فيـه إلا الإخبار بأنه سـيمـوت ، وهو حق لا شك فيـه، ولكن موته لم يحـصل ، كـما أن البعث لم يحصل ، وسـيحصلان فيما بعـد ولابد، وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ لا يدل على موت عـيسى لأمرين «أحدهمـا» أنه عام فيخص منه عيسى ، للأدلة الدالة على حياته، عملا بما هو مقرر فى الأصول

«والأمر الثانى» أن تبقى الآية على عمومها من غير أن تشمل عيسى أيضًا لأن المراد بالخلد فى الآية البقاء الطويل فى عالم الأرض لأن المشركين كانوا يقدرون أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سيموت فيشمتون بموته، فأنزل الله الآية ردًا عليهم ، وعيسى لم يمكث فى الأرض بل رفع إلى عالم السماء، فهو كالميت بسبب انفصاله من هذا العالم الأرض إلى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجسمانية، ولا تعتوره التقلبات الزمانية، وأخبرنى شخص كان قاديانيًا ثم أسلم أن القاديانية يستدلون على موت عيسى بحديث هذا لفظه : «لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى» ، وهذا حديث مكذوب ما نطق به رسول الله، ولا رواه عنه أحد من أهل الحديث[1] ، ثم أراد صاحب الفتوى بعد إذ حمل رفع عيسى على رفع المكانة كما فعل القاديانية - وهو باطل كما بينا - أن يؤيد ذلك فقال: وظاهر أن الرفع الذى يكون بعد التوفية رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصًا وقد جاء بجانبه قوله «ومطهرك من الذين كفروا» مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم أ هـ وأقول: القاديانية هم الذين حملوا الرفع فى الآية على رفع المكانة ، فقلنا لهم : هذا مجاز لابد له من قرينة قالوا ذكر التوفى قبله والتطهير بعده قرينتان ، قلنا : أما التوفى فلا يصح قرينة لأمرين «الأول» أنه يطلق على الموت والنوم وقبض الدين والأجر إلخ. فهو محتمل يحتاج فى تعيين المراد منه إلى قرينة وما هو محتاج إلى قرينة فى نفسه كيف يكون قرينة على تعيين المراد من غيره؟ «الثانى» أن رفع المكانة ثابت لكل رسول فى الحياة وبعد الممات فكيف يعقل أن يكون التوفى قرينة على رفع مكانة عيسى مع أن ذلك ثابت له ؟!! ما هذا

---

(١) نعم : صح الحديث بلفظ «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا ابتاعى».

إلا من لغو الكلام، وأما قـوله تعالى «ومطهرك من الذين كفروا» فـهو قرينة على رفع الجـسد لا رفع المكـان لأن الله تعالى وعـد عـيسى بأن يطهـره من الكفار ، فلا يجوز أن يحمل على التطهير المعنوى، لأمرين: الأول: «أن هذا التطهير حاصل لكل رسول، لأن الله لم يختر لرسالته إلا أطهر الناس نفسًا، وأزكاهم عمـلا، فكيف يصح أن يعد الله عيسى بالتطهـير وهو حاصل له؟! «الثانى» أن التطهير المعنوى لا يمنع إذاية الكفـار، وظلم الأشقياء ، فكم لاقى رسل الله المطهرون من إذاية واضهطاد ولهذا والله أعلم لما أراد الله أن يضمن لرسوله الحـفظ من القتل قال له: «والله يعـصمك من الناس» أى يمنعك من الناس أن يقـتلوك ، ولم يقل له: واللـه يرفع مكانتك على الناس، ولا قـال والله يطهرك من الـناس، لأن الرفع والتطهير المعنويـين لا يدلان على الحفظ من القتل والإيذاء، ولا يـستلزمه بحكم العـقل، وال العادة كـما هو ظاهر، وحـيث تبين بطلان حـمل التطهـير فى الآيـة على المعنوى تعين حـمله علي التطهيـر الحسى وهو رفع جسد عيـسى حيًا وتخليصـه من أيدى الكفار الذين أرادوا قتلـه وصلبه، فالآيـة تفيد نقـيض ما أراده القـاديانية الجـهلة الذين لا يعرفـون اللغة العـربية ولا يفهـمون أسـرار القرآن العظيم، ثم قـال صاحب الفتوى - والقاديانية معه فى هذا - مـا نصه: وقد جاء الرفع فى القرآن كثيرًا بهذا المعنى «فى بيون أذن الله أن ترفع» «درجات من نشاء» «ورفعنا لك ذكر» «ورفعناه مـكانًا عليًا» «يرفع الله الذين آمنوا» . .إلخ أ هـ وأقـول لنا الحق أن نسأل الشـيخ عن ورود الرفع مجازًا كثـيرًا فى القرآن هل هذه الكثـرة جعلت لفظ الرفع ظاهرًا فى المعنى المجـازى بحيث إذا أطلق اللفظ انصرف إليه كـما جعلت الكثرة أيضًا لفظ التوفى ظاهرًا فى الموت فى زعمه؟ إن قال نعم، إنى بالتناقض لأن معنى قـولنا هذا المعنى ظاهرً أنه لا يحتاج إلى قـرينة ، ومعنى

قولنا إنه مجاز ، أنه لا يفهم إلا بقرينة تدل عليه فكيف يتفق الأمران فى كلمة وهما متباينان؟ وإن قال: لم تجعله الكثرة ظاهراً بل لا يزال معنى مجازيًا يحتاج إلى علاقة وقرينة ، قلنا له صدقت وحينئذ فقولك كثيراً لغو فى الكلام ليس لذكره فائدة سوى التطويل والتهويل، والآيات التى أوردها ظاهر فيها المجاز لوجود قرائن تدل عليه[١] إلا قوله تعالى فى إدريس عليه السلام «ورفعناه مكانًا عليًا» فقيل: إنه رفع بجسده حقيقة إلى السماء، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى ، والمسئلة مبسوطة فى غير هذا الموضع، ثم قال صاحب الفتوى" وإذن فالتعبير بقوله، ورافعك إلى بدل رفعه الله إليه كالتعبير فى قولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى، وفى إن الله معنا وفى عند مليك مقتدر ، وكلها لا يفهم منها سوى الرعاية إلخ وأقول تجرأ هذا المفتى وأقدم على القول بأن مراد الله برفع عيسى الرفع المجازى ، وبتوفيه الاماتة العادية، وأهدر ما فى الآيات المتعلقة بعيسى من نكت بلاغية وأسرار لغوية، تقضى بحياته ورفعه كما نبذ الأحاديث والأثار وأقوال العلماء، وراءه ظهريًا لأنه يشتهى الظهور أمام المتشبعين بالعلم الحديث - بمظهر العالم الذى لايقبل عقله الخرافات لكن فاته أن رفع عيسى حيًا جائز فى العقل ، وارد فى الشرع ، وما كان كذلك فرده ، لا قبوله ، هو الخرافة، وقد قضت الضرورة العقلية بتنزه الله سبحانه عن المكان والزمان ، لأنه خالقهما فلهذا أول العلماء قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ ﴿**عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ ، وقولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى إنما يقال فى الشخص الذى يموت فموته قرينة ملموسه محسة، وأين هذا من آيات نزول عيسى وحياته ورفعه التى

(١) ولأنه لم يذكر معها لفظ: إلى، الذى ذكر بجانب رفع عيسى. وهو يدل على الرفع الحسى دلالة صريحة.

بعضهـا صريح[1] والظاهرمنها بينتـه السنة المتواترة ؟ وقول صاحـب الفتوى فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمـة إليه؟ تجاهل يزرى بصاحبه ، ومع هذا نجيـبه على قـدر تجاهله فنقول: أخـذت كلمة السـماء من كلمة إليـه بدليلين قطعيين «أحـدهما» أن المكان فى حق الله محـال «ثانيهمـا» أن السماء مـهبط الوحى، ومسكن الملائكة ، وقـبلة الدعاء ومتنزل الرزق ، فأضـيفت إلى الله تشريفًا، كما يقال فى الكعبة: بيت الله ، وفى ساكن مكة: جار الله ، وهذا أمر يدركـه الطلبة ، قال النيـسابورى فى تفسـيره : أما قـوله «ورافعك إلى» فالمشـبهة تمسكوا بمثـله فى إثبات المكان لله، وأنه فى السـماء ، لكن الدلائل القاطعـة دلت على أنه متعال عن الحـيز والجهة ، فـوجب حمل هذا الظاهر على التـأويل بأن المراد إلى محل كـرامـتى ومقـر ملائكتى والمراد التـفخـيم والتـعظيم أو المراد إلى مكـان لا يملك الحكم عليـه هناك غـيـر الله فـإن فى الأرض ملوكا مـجازية أ هـ والعـجيب من الشيخ أن يتـجاهل فى كلمـة إليه الدليل القـاطع الذى دل على وجـوب تقـدير كلمـة السـمـاء مع أنه أوجب ملاحظة كلمة أماتة الله فى كلمة بل رفعه الله من غير أن يجيز هذه الملاحظة دليل ظنى فضلا عن قطعى !!! ثم قال صاحب الفتوى: وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ناصبه قومه العداء ، فالتجأ إلى الله ، فأنقذه بعزته ، وخيب مكر أعدائه ، وهذا هو ما تضمنته الآيات ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ إلخ، فهـو يبشره بانجـائه من مكرهم ، ورد كيدهم فى نحورهم وأنه سيستـوفى أجله حتى يموت حتف أنفه، من غير قتل ولا صلب ثم يرفعه الله إليه ، وهذا هو مـا يفهمه القارئ للآيات الواردة

---

(١) ولفظ : إلى ، صريح فى الرفع الحسى.

فى شأن نهـاية عيـسى مع قومه، مـتى وقف على سنة الله مع أنبـيائه حين يتألب عليهم خصومهم ، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن أ هـ **وأقول**: كل ما أبداه باطل لا قيمة له ، ويكفينا فى بيان بطلانه أن نعلمـه أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم هو الذى أخبـر بحـياة عيـسى ونزوله ، وهو الذى وكل الله إليـه بيان القرآن ، وبيـان الدين كله ، وقد اشتمل كـلام الشيخ - مع مخالفتـه لكلام الله ورسوله - على تعليلات هى أشبـه بالأقاصـيص والخرافات وهو يظنـها أقصى مـا تصل إليه العـقول البشرية ، في هذا الوقت فـقوله : وبعد فما عيـسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، تمهـيد ليس له محل فى هذا الموضع ، وإنما مـحله أن يقال فى الرد على النصارى الذين يزعـمون ألوهية عيـسى ، أو بنوته لله ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، وقوله : وهذا هو مـا يفهمه القارئ للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه ، يقال عليه : لا يفهم القارئ ما ذكرته إلا إذا كان متصفًا بوصفين «أحدهما» جهله بالبلاغـة وأسرار اللغة العربية «ثانيهما» جهله بالسنة ، فبهذين الوصفين يفـهم القارئ من الآيات أن عيسى مات ، وأنه لم يرفع ، وأنه لا ينزل ، كما فـهم القاديانية ذلك لجهلهم ، ونهـاية عيسى مع قومـه ليست بواجب عـقلى يلزم من فرض تخلفـه محال، حـتى نضطر إلى تأويل القرآن ورد الأحاديـث من أجلها! فما بال الشيـخ كررها بضع مرات؟! وقوله : متي وقف على سنة الله مع أنبيائـه، يقال عليه: سنة الله مع أنبيائه مختلفة فمنهم من تسلط عليه أعداؤه حتى قتلوه ، ومنهم من أنجاه الله ، ثم طرق الانجاء مخـتلفة ، ولكنها متفـقة فى أن النبى يبقى - بعد انجـائه - حيًا لتـقر عيـنه بهلاك أعـدائه ، وانظر إلى نوح وإبراهيم وموسى وهود وصـالح ولوط ويونس وغيـرهم عليهم صلوات الله ، كيف أبقاهم الله بـعد إنجاءهم

حتى شاهـدوا هلكة أعدائهم ، فسنة الله مع أنبيـائه تقتضى أن يبقـى عيسى بعد إنجائه حيًا ، ليشاهد مكر الله بالـيهود وتقر عينه بذلك ، وهذا نقيض ما يدعيه الشـيخ فانظر كيف أتى بما هو دليل عليه وهو لا يشـعر ؟ !! وقوله : ومتى خـلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فـى القرآن ينطوى على أمـر خطير جـدًا لأنه يحض على تجـاهل السنة ، ويحرض على عـدم الرجوع إليها فى تفسير القـرآن العظيم ، وليت شعرى بماذا يفسر كلام الله إذا لم يرجع فى تفسـيره إلى كلام رسول الله وكـلام أصحابه ؟ يقول الله لنـبيه ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ ويقول النبى ﷺ **«من قال فى القرآن بغيـر علم فليتبوأ مـقعده من النار»** ثم يجىء الشيخ فى آخر الزمان فيقول: يكتـفى فى تفسير كلام الله بما يفهمـه القارئ الخالى الذهن من السنة أى لا علم عنده بها ولا شـعور ، فيـجعل الجهل شرطًـا فى التفسيـر!! وقد بقيت فى كلامه أشياء واضحـة البطلان ولا داعى إلى إضاعة الوقت بمناقشتها ، ثم ذكر الشيخ خـلاصة بحثه وفتواه وهى بالضـرورة باطلة لبطلان ما بنيت عليه، فـلا حاجة إلى الـكلام عنها ، وليرجع القـارئ إلى حكم منكر نزول عيـسى عليه السلام فـقد بيناه أواخر البـاب الأول من هذا الكتاب، وإلى هنا ينتـهى مـا أردناه من إقامـة البـرهان، وهو كـاف شاف ، والحـمـد لله رب العالمين.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري